

## محاضرات في النقد العربي القديم \المرحلة الثالثة\ قسم اللغة العربية

إعداد الدكتور حسين لفته

### ( تمهيد في معنى النقد الأدبي )

يقسم الدارسون الأدب إلى نوعين : أدب إنشائي وأدب وصفي , فأما الأدب الإنشائي فهو ما يكتبه الشاعر او القاص او الروائي , ويتخذ شكل القصيدة أحيانا او القصة حيناً او الرواية او المقالة أحياناً آخر , وهذا الأدب ما هو الا التعبير عما يحسه المنشئ إزاء ما حوله من الناس والطبيعة , يصور فيها تجربة او يعكس موقفاً او إحساساً بلغة مؤثرة موحية يهدف من وراء ذلك الى إثارة العواطف ونقل التجربة وإمتاع النفس .

ومن الناس من يقرأ هذا الأدب الإنشائي ويبدى إعجابه به , وقد يمضي الى ما هو ابعد من مجرد الإعجاب , فيفسر ماالذي أعجبه في النص , وما المزايا التي تميز هذا النص من غيره , او قد تكشف ان هذا النص الذي قراه لا يستحق الإعجاب لان فيه عيوباً تتصل بلغته او معانيه او صورته , والقارئ في كلا الموقفين , موقف الإعجاب وموقف الاستهجان ناقد بشكل او بآخر وهذا هو الأدب الوصفي .

نشأ النقد مع الأدب او بعده بقليل , ونقول معه لان الأديب نفسه يمكن ان يكون ناقداً لعمله وهو ينشئ النص فيقومه ويعدله ويستبدل كلمة بأخرى , ويقدم بيتاً على آخر او فقرة على أخرى .

ولنا في تاريخ الشعر العربي ما يؤيد هذا , فهناك من الشعراء مثل زهير بن أبي سلمى والحطيئة , من يبقي القصيدة حولاً كاملاً يعود اليها بين الحين والآخر معدلاً ومغيراً فهو على هذا النحو ناقد لعمله .

ونقول قد ينشأ النقد بعد ان يكون الأديب قد فرغ من كتابة النص شعراً كان ام قصة ام رواية واذاعه بين الناس , ويكون لهؤلاء موقف ما وهم يقرأون النص وهو موقف يتراوح بين الإعجاب المطلق او الاستهجان المطلق , لكن الناقد المتمرس هو الذي يستطيع ان يكشف عن أسباب الإعجاب او الاستهجان المطلق , لكن الناقد

المتمرس هو الذي يستطيع ان يكشف عن أسباب الإعجاب او الاستهجان , يعضده في ذلك ذوق رفيع وقراءات واسعة للنصوص الأدبية الجيدة , وثقافة عميقة في علوم مساعدة مثل علم اللغة وعلم الجمال وعلم النفس وعلم الاجتماع .

وعبر قرون وقرون من الممارسات النقدية عند كبار النقاد , تطور النقد وتعددت أساليبه ومناهجه , ومع ذلك يرى بعض النقاد ان العملية النقدية لا تعدو ان تكون أسئلة عقلية يطرحها الناقد ويحاول الإجابة عنها .

ما الأسئلة التي يطرحها الناقد ؟ هو يسأل عن معنى العمل الأدبي , مالذي أراد الأديب ان يقوله ؟ وهو استفسار عن مضمون النص وما فيه من أفكار وعواطف . ثم يسأل عن الكيفية التي عبر بها الأديب عن هذه الأفكار والعواطف لان الأدب ليس مضمونا او محتوى فقط , وانما هو شكل ايضا , ولا بد ان يحتوي كل مضمون شكلا ما والسؤال عن الكيفية التي عبر بها الأديب عن أفكاره مهم لفهم المضمون , اذ كيفما يكن الشكل يكن المعنى .

وبعد ان يفهم الناقد معنى النص وشكله يكون قد وصل الى المرحلة الثالثة من العملية النقدية , وهي تقويم النص والحكم له او عليه , والحكم في راي جمهرة النقاد هو الغاية من النقد , ولا يختلف عنهم في هذا غير طائفة ترى ان مهمة النقد انما هي الكشف عن مضمون العمل الأدبي وشكله وأسلوبه , فالمهمة وصفية وليست معيارية , لان الحكم على النص الأدبي مهمة القاريء وليس الناقد .

تمر العملية النقدية بثلاث مراحل , وقد تتداخل فيما بينها , وهي مرحلة التفسير أي معرفة المضمون ومرحلة التحليل أي فهم الشكل ومرحلة التقويم , أي الاجابة عن مدى نجاح الأديب او فشله في التعبير عن تجاربه بلغة موحية معبرة قادرة على نقل ما أراده الى القاريء .

أي ان النقد اسئلة عقلية تحتاج الى إجابات عقلية , هذه الأسئلة هي ماذا قال الأديب ؟ كيف قاله ؟ هل نجح ام فشل .

وعلى الرغم من ان النقد لا بد ان يقوم على ذوق رفيع يمتلكه الناقد , الا انه لا يمكن الاستغناء عن الأسس والقواعد التي هي ضرورية للنقاد لكي يكون ما يكتبه مقنعا وصائبا وقد قيل ان الناقد أحوج الى الثقافة من الأديب نفسه .

وعلى هذا نلاحظ ان النقد ليس مجرد التمييز بين ما هو جيد وما هو رديء في النصوص الأدبية , على الرغم من ان كلمة ( نقد ) في العربية توحى بذلك , فلو عدت الى المعجمات العربية مثل لسان العرب او تاج العروس , لوجدت ان كلمة نقد تعني تمييز الدراهم وإخراج الزائف منها , ولذلك شبه العرب الناقد بالصيرفي فكما يستطيع الصيرفي ان يميز الدرهم الصحيح من البهرج , كذلك يستطيع الناقد ان يميز النص الجيد من الرديء وتأتي كلمة نقد بمعنى العيب والتجريح , قال أبو الدرداء ( ان نقدت الناس نقدوك وان تركتهم تركوك ) أي ان عبتهم عابوك .

وكان قدامة بن جعفر قد عرف النقد بأنه ( علم تخليص جيد الشعر من رديئه ) .  
والنقد عند العرب صناعة وعلم لا بد للناقد من التمكن من أدواته , ولعل أول من أشار الى هذا ابن سلام في كتابه ( طبقات فحول الشعراء ) عندما قال : ( وللشعر صناعة وثقافة يعرفها اهل العلم بها كسائر أصناف العلم والصناعات ) , وكان ابن رشيق أوضح منه عندما قال ( وقد يميز الشعر من لا يقوله كالبراز يميز من الثياب ما لا ينسجه والصيرفي من الدنانير ما لم يسبكه ولا ضربة ) .

وهذه الثقافة التي يشير اليها ابن سلام تتشعب لتشمل اللغة والنحو والغريب والأخبار والأنساب وأيام العرب وغيرها , لذلك ينسب الى أبي عمرو بن العلاء قوله : ( العلماء بالشعر أندر من الكبريت الأحمر ) , أما الأصمعي فيقول ( فرسان الشعر اقل من فرسان الحرب ) ويريد بفرسان الشعر العلماء بالشعر .

ويصدق هذا الكلام على الناقد المعاصر فقد تعددت المناهج في العصر الحديث , فهناك طائفة من النقاد ترى ان العمل الأدبي صورة للأديب , وقد قام على هذا التصور ما يسمى ( المنهج النفسي ) , وهؤلاء يرون ان العنصر النفسي الذي يتمثل في العاطفة والإحساس لهو ابرز ما يتكشف عنه النص الأدبي , وكان العقاد يرى ان

الشعر يمثل شخصية منشئه , وان مهمة الناقد الكشف عن الانسان الذي وراء القصيدة .

المنهج النفسي يرى ان الكتابة سلوك , وان الإبداع الأدبي حالة سلوكية يمكن ردها الى أصولها ودوافعها النفسية , والأدب تعبير عن اللاشعور عند الإنسان الذي يعبر عنه على نحو رمزي , والناقد معنى بالكشف عن الدلالات الرمزية للعمل الأدبي .

ان المنهج النفسي يحاول ان يسلط الضوء على عملية الخلق والإبداع أولاً , وعلى دلالة العمل الأدبي على نفسية منشئه ثانياً , وعلى اثر النص في نفس القاريء ثالثاً . ولا يخلو نقدنا القديم من إشارات الى الدوافع النفسية لقول الشعر , فهذا ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) يتحدث عن الدوافع لقول الشعر فمنها الشوق والرغبة والطرب والغضب والطمع , كما يشير الى اثر البيئة في النظم .

وطائفة أخرى تمضي الى ابعاد من التساؤل الذي يثيره أصحاب المنهج النفسي فهم يقولون اذا كان الأديب قد اوجد النص وخلقه واثّر فيه وطبعه بطابعه , فمن يا ترى اوجد الأديب واثّر فيه ؟ الجواب (المجتمع) , وعلى هذا فان المنهج النقدي السديد لا يكون الا بدراسة الأدب في ضوء الظروف التي نشأ بها , لان الأدب ظاهرة اجتماعية أدواتها اللغة وعلى هذا فمن اولى مهمات النقد ان يبحث او يفسر العلاقة المعقدة والتأثير المتبادل بين المجتمع والأديب وصولاً الى فهم سليم للعمل الأدبي , ان الأدب لا ينشأ في فراغ , والا هل يمكن القول ان شعر امرئ القيس لا ينطلق من واقع الحياة العربية قبيل الإسلام .

وثمة طائفة ثالثة ترى غير ما يراه المنهجان السابقان فالنص - عندهم - وجود مستقل عن الأديب الذي انشأه , وعن المجتمع الذي أنشأه الأديب , وهذا هو (المنهج الفني) وهو منهج يبدأ من العمل الأدبي وينتهي به , وعندهم ان النص بناء لغوي فالبناء هو مجموعة العلاقات القائمة بين عناصر العمل الأدبي , وهذه العناصر تستمد قيمتها ووظيفتها من ارتباطها فيما بينها , فالعمل الأدبي بناء مركب تركيباً لغوياً .

## مصادر دراسة النقد العربي القديم:

- ١- الاصمعيات , للأصمعي (ت ٢١٦هـ) .
- ٢- المفضليات , للمفضل الضبي (ت ١٦٩هـ) .
- ٣- جمهرة أشعار العرب , لأبي زيد القرشي (ت ٣٢٦هـ).
- ٤- طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي (ت ٢٣٢هـ) .
- ٥- الشعر والشعراء , لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) .
- ٦- فحولة الشعراء , للأصمعي عبد الملك بن قريب (ت ٢١٦هـ) .
- ٧- البيان والتبيين , للجاحظ (ت ٢٥٥هـ).
- ٨- الحيوان , للجاحظ (٢٥٥هـ) .
- ٩- العقد الفريد , لابن عبد ربه الأندلسي (٣٢٨هـ) .
- ١٠- الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري , للآمدي (ت ٣٧٠هـ).
- ١١- الأغاني , لأبي الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ) .
- ١٢- نقد الشعر , لقدامة بن جعفر (ت ٣٣٧هـ) .
- ١٣- قواعد الشعر , لأبي العباس احمد بن يحيى ثعلب (ت ٢٩١هـ).
- ١٤- دلائل الإعجاز , لعبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) .
- ١٥- أسرار البلاغة , لعبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) .
- ١٦- حلية المحاضرة , للحاتمي (ت ٣٨٨هـ) .
- ١٧- شرح ديوان الحماسة , للمرزوقي (ت ٤٢١هـ) .
- ١٨- العمدة , لابن رشيق القيرواني (ت ٤٥٤هـ) .
- ١٩- المثل السائر , لابن الأثير (ت ٦٣٧هـ) .
- ٢٠- المزهر , للسيوطي (ت ٩١١هـ) .
- ٢١- إعجاز القرآن , للباقلاني (ت ٤٠٣هـ) .
- ٢٢- مجاز القرآن , لابي عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠هـ) .
- ٢٣- سر الفصاحة , لابن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦هـ) .
- ٢٤- المثل السائر , لابن الأثير (ت ٦٣٧هـ) .

- ٢٥- منهاج البلغاء وسراج الأدباء , لحازم القرطاجني (ت ٦٨٤هـ) .
- ٢٦- الموشح (مأخذ العلماء علي الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر)، لأبي عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني (ت ٣٨٤هـ) .
- ٢٧- أخبار أبي تمام , للصولي (ت ٣٣٥هـ) .
- ٢٨- النقد العربي القديم الدكتور داود سلوم .
- ٢٩- محاضرات في تاريخ النقد عند العرب , الدكتورة ابتسام الصفار .
- ٣٠- تاريخ النقد الادبي عند العرب , طه احمد ابراهيم .
- ٣١- اثر القران في تطور النقد العربي , محمد زغلول .

## محاضرات في تاريخ النقد الأدبي عند العرب \ إعداد الدكتور حسين لفته

### النقد في عصر ما قبل الإسلام :

ينقسم مؤرخي النقد العربي القديم في درسه له الى طائفتين , واحدة ترى ان النقد العربي يبدأ في عصر ما قبل الإسلام , وأخرى ترى ان النقد المنهجي على نحو خاص يبدأ في القرن الثاني للهجرة .

ومن الجدير بالذكر ان النقد العربي قبل الإسلام كان ذوقيا فطريا عاما , يخلو في اغلب الأحيان من التعليل والتفسير , وان النقد العربي بعد انتهاء مرحلة الرواية والتدوين بدا يبرز ويعلل على وفق منهج .

ويمكن ان يستدل الباحث على ان العرب عرفوا النقد الأدبي والبلاغي قبل الإسلام بأمرين :

#### الأول : عقلي :

لا يمكن إنكاره , وهو انه لا يمكن ان يكون الشعر قد وصل الى ما وصل اليه في ذلك العهد , وان الخطابة بلغت ذروتها , من غير ان يكون هناك عقل مدبر لكل ذلك , ومن غير ان تكون هناك اصول عامة تعارف عليها الشعراء والمتكلمون وساروا عليها فيما نظموا او قالوا , ومهما تحدث الباحثون عن الذوق السليم والسليقة الصافية ومها وصفوهم بالفطنة والذكاء فان العقل لينكر ان يكون ماكان من غير ثقافة ودربة وقواعد تضيء لهم الطريق وتفتح امامهم سبل القول .

#### الثاني : نقلي :

وهو ما اثر عنهم وما جاء عن خطبائهم ووصف خطبهم , وقد كان الخطباء يعتزون ببيانهم ويفخرون بأنفسهم , ولما دخل ضمرة بن ضمرة على النعمان بن المنذر زرى عليه الذي رأى من دمامته وقصره وقلته , فقال النعمان : " تسمع بالمعيدي لا ان تراه " فقال : " أبيت اللعن , ان الرجال لا توزن بالميزان , وانما المرء بأصغريه بقلبه ولسانه , ان قال قال ببيان " وكان ضمرة خطيبا وشاعرا وفارسا شريفا سيدا في قومه .

واستدل الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) في كتابه (البيان والتبيين) من ألفاظ (العيي) ,  
(البكي) و (الحصر) و (المفحم) و (الخطل) و (المسهب) على ان العرب قبل  
الإسلام عرفوا كثيرا من عيوب البلاغة والخطابة .

ووصفوا كلامهم في أشعارهم فجعلوها كبرود العصي وكالحل والمعاطف  
والديباج والوشى وأشباه ذلك , ووصفوا شعرائهم وأضفوا عليهم ألقابا كالمهلهل  
والمرقش والمتقب والمنخل والنابغة , وهذه الأوصاف تتصل بأحكامهم النقدية  
وبذوقهم الذي ميزوا به بين شاعر وشاعر .

وكان بعض الشعراء يعنون بأشعارهم وينقحونها قبل ان يذيعوها بين الناس  
واشتهر زهير بن ابي سلمى بالحوليات وتبعه في ذلك الحطيئة وقال الأصمعي : "  
زهير بن ابي سلمى والحطيئة وأشباههما عبيد الشعر لأنهم نقحوه ولم يذهبوا فيه  
مذهب المطبوعين " .

ان وقوف الشعراء عند قصائدهم لينقحوها ويعيدوا النظر فيها يدل على الروح النقدية  
التي كان الشاعر نفسه يمارسها قبل ان ينقده السامعون .

ولهذا لم يعد مؤرخو النقد من ان يجدوا أسبابا موضوعية تدعو الى وجود النقد  
بل توجب وجوده , مادام النقد ملازما للأدب او تاليه في الوجود , فالشاعر الذي  
يهذب ويشذب وينقح ويعدل يمارس النقد للنص الذي يبده , وهو نقد ملازم للعملية  
الإبداعية ومتم لها والمستمع - او القارئ - الذي يصوب ويميز ويوازن ويقوم انما  
يمارس نقدا تاليا للعملية الإبداعية ويظهر ان هذين النوعين وجدا في عصر ما قبل  
الإسلام .

ويرى بعض الدارسين ان الشعر العربي الذي وصلنا ناضجا (مكتملا) مرّ  
بضروب من التهذيب حتى بلغ حد الإتقان , وبين الحدا - الذي يظن انه نواة الشعر  
العربي - وبين القصيدة المحكمة عصر طويل من النقد الذي ألح على الشعر  
بالإصلاح والتهذيب حتى انتهى به الى الصحة والجودة , فضلا عن هذا هناك أسباب  
أخرى تدعو بالضرورة الى ان يكون هناك نقد آخر , غير نقد التهذيب والتنقيح وهو

النقد التالي للعملية الإبداعية , نقد المستمع للشعر , او القارئ له , وهذه الأسباب هي :

١- استقرار المناهج الشعرية والتقاليد على وجه من الوجوه , بل لقد بلغ من استقرار هذه التقاليد انها استطاعت ان تفرض وجودها لأجيال .

٢- الدراسة الشعرية المتمثلة في الرواية , فقد كان لكل شاعر راوية يروي شعره ويحفظ معانيه ويتعرف على صورته الفنية .

٣- الجمهور الأدبي الذي يفهم الشعر ويتذوقه فيحكم عليه , ويتمثل هذا الأمر بالأسواق الأدبية التي تقام في أرجاء الجزيرة العربية مثل سوق عكاظ وسوق المربد .

ومن أهم الملاحظات التي لاحظها الدارسون لهذا النقد هي ان الروايات النقدية المنسوبة الى هذا العصر تخص الشعر دون النثر , وان هذه الروايات قليلة قياسا الى الحقبة الزمنية التي تنتسب اليها والى كثرة الشعر , وأخيرا ان هذه الروايات ترتبط بأسماء الشعراء , بمعنى ان الناقد هو نفسه الشاعر .

وتفسير هذه الظواهر ليس بالأمر الصعب , فالفن الأدبي الوحيد الذي كان في ذلك العصر هو الشعر , ولم يكن للنثر شأن يذكر , والمؤرخ لادب هذا العصر لا يجد للنثر مكانا الا فيما يقال عن الحكم والأمثال وسجع الكهان وغيرها , وما كان موجودا من نثر جاهلي لم يحفظ لان الذاكرة الإنسانية اقدر على حفظ الشعر واستظهاره من النثر , ولذلك روي الشعر ولم يرو النثر على قلته .

ومع قلة الروايات النقدية التي بين أيدينا يلمح الدارس تشعب اهتمامات الناقد الجاهلي , فقد كان ينظر الى النص الشعري من زوايا عدة , وكان عروض القصيدة واحدا من هذه الجوانب التي أولاها الناقد القديم اهتمامه , ومعياره في هذا اذنه الحساسة التي ترصد أي اختلال في وزن البيت , وهو اختلال يبدو اشد ما يبدو عندما تغنى الأبيات .

فقد روى المرزباني في الموشح " لم يقو احد من الطبقة الاولى ولا من أشبههم الا النابغة في بيتين قوله :

امن ال مية رائح او مغندي عجلان ذا زاد وغير مزود  
زعم البوارح ان رحلتنا غدا وبذلك خبرنا الغراب الاسود

وقوله :

سقط النصف ولم ترد اسقاطه فتناولته واتقنتا باليد  
بمخضب رخص كان بنانه عنم يكاد من اللطافة يُعقد

فقدم المدينة فعيب عليه ذلك , فلم يأبه حتى اسمعوه إياه في غناء ... فقالوا  
للجارية اذا صرت الى القافية فرتلي , فلما قالت (الغراب الاسود) و(اليد) علم  
فانتبه فلم يعد اليه , وقال : قدمت الحجاز وفي شعري صنعة , ورحلت عنها وانا  
اشعر الناس " .

ويبدو ان القدماء لم يكونوا يعرفون المصطلح آنذاك , وهو أمر طبيعي ,  
فالمصطلح - النقدي او سواه - لا يوجد الا بعد ان تكون الظاهرة وتنتضح معالمها ,  
وقد لاحظنا ان النابغة وصف الإقواء في شعره (بالصنعة ) وفي رواية أخرى  
(بالعاهة) وفي رواية ثالثة (في شعري شيء ) وفي رواية رابعة (بعض العهدة)  
وهذا دليل على ان هذا الخل لم يكن مفهوما بعد , ولم يستقر بعد مصطلحه  
الخاص به .

والإقواء يقترب بتطور القصيدة نحو الأحسن واكتسابها الشكل العروضي  
الأمثل ولذلك فهو - وسواه - اثر من آثار طفولة الشعر ودليل على ان العربي لم  
يهتد مرة واحدة الى حركة الروى فدم الإقواء نوع من البصر بالشعر .

ومن الروايات التي تشير الى معرفة النقاد العرب الى منهج الموازنة في  
الحكم على الشاعر ويبدو هذا واضحا في رواية ام جندب زوج أمريء القيس  
التي وازنت بين شعر زوجها وشعر علقمة الفحل , بعد ان تنازعا فقالت قولاً  
شعرا تصفان فيه فرسيكما على قافية واحدة وروي واحد فقال امرؤ القيس :

خيلي مرا بي على ام جندب تقضي لبانات الفؤاد المعذب

وقال علقمة :

ذهبت من الهجران في غير مذهب ولم يك حقا طول هذا التجنب

فانشدها جميعا القصيدتين , فقالت لامرئ القيس علقمة اشعر منك , قال كيف ؟  
قالت لأنك قلت :

فالسوط الهوب وللساق درة وللزجر منه وقع اخرج مذهب  
فجهدت فرسك بسوطك ومريته فأتعبته , وقال علقمة :

فأدركهن ثانيا من عنانه يمر كمر الراح المتحلب

فأدرك فرسه ثانيا من عنانه ولم يضربه ولم يتعبه , فقال ماهو باشعر مني ولكنك  
له عاشقة فسمي الفحل لذلك " .

وثمة رواية اخرى تتحدث عن ان النابغة كانت تضرب له قبة حمراء من آدم  
بسوق عكاظ فتاتيه الشعراء فتعرض عليه اشعارها , قال فأول من انشده الأعشى  
ميمون بن قيس ابو بصير ثم انشده حسان بن ثابت الأنصاري :

لنا الجففات الغر يلمعن بالضحي وأسيفنا يقطرن من نجدة دما

ولدنا بني العنقاء وابني محرق فأكرم بنا خالا وأكرم بنا ابنا

فقال له النابغة انت شاعر ولكنك أقللت عدد جفانك وأسيفك , وفخرت بمن

ولدت ولم تفخر بمن ولدك .

اذا النقد الذي وجه الى حسان يتعلق باستعمال جموع القلة بدل جموع الكثرة ,  
وانه فخر بالأبناء ولم يفخر بالآباء , والرواية تدل على ان النقد في ذلك العصر  
كان يوجه عنايته للألفاظ واستعمالاتها في السياق الذي ترد فيه .

## النقد في عصر صدر الإسلام :

دراسة حالة النقد في عصر صدر الإسلام تقتضي منا الوقوف على ثلاثة مسائل مهمة تحدد وتوضح حالة الشعر في هذه الفترة والآراء النقدية التي صاحبها . كما ان دراسة الواقع العربي بعد ظهور الإسلام وانتشاره في الجزيرة العربية يطلعننا على التطور الكبير الذي شهدته الحياة آنذاك بكل مظاهرها , فقد شهد العرب نقلة كبيرة أخذت بأيديهم من الواقع الإقليمي المتناحر الى الأفق الرحبة السامقة تحت راية الدين الواحد والعقيدة الواحدة, وقد ترك هذا التطور أثره الكبير في نفوس العرب أفراد وجماعات بوصفهم حملة الرسالة الإسلامية واصطبغت حياتهم بمبادئ الإسلام , وإنها وجهت أفكارهم وإبداعاتهم والشعر واحد من أهم أوجه الإبداع الذي فتنت به العرب وتناشدته في حلها وترحالها ومجالسها ومسامراتها .

مفهوم الشعر في الإسلام وفي القرآن الكريم :

اما مفهوم الشعر ونظرة الإسلام اليه فتبدأ من الآيات القرآنية الكريمة وتكملها الأحاديث النبوية الشريفة , تقرا في القرآن الكريم دفاعا عن الرسول صلى الله عليه واله وسلم وصونا لدعوته ونبوته وتبرئتهما من التهم التي تخبط المشركون في تخيلها وصوغها , فقد خيل إليهم عنادهم وكفرهم ان ما يسمعون من أي الذكر الحكيم ليس وحيا يوحى وإنما هو ضرب مما يعرفونه في حياتهم آنذاك فتارة يتهمون الرسول (ص) بأنه كاهن, وأخرى شاعر , وثالثة يصفون كلام الله جل وتعالى بأنه السحر, فجاءت الآيات الكريمة معلنة ان ما ينطق به الرسول (ص) وحي يوحى , وهو كلام الله سبحانه وتعالى " وما هو بقول شاعر قليلا ماتؤمنون " .

ولا يمكن ان يفهم من هذه الآيات الكريكات حط من شأن الشعر والشعراء او نظرة فيها احتقار أو سخيرية لكونها قد نزهت الرسالة السماوية ان تكون نمطا من الإبداع البشري .

وقد نفى الله سبحانه وتعالى كون النبي عارفا للكتابة لئلا يتهم بقراءة كتب الأولين ولتنشيت حقيقة النبوة وكونها وحيا يوحى .

ولم يكن الشعراء جميعا بمثل هذه الصورة المقيتة لينزه عنها الرسول (ص) فللشعر مكانته الكبيرة عند العرب , وللشعراء أهميتهم في القبائل , وماكان جميع الشعراء مادحين مبالغين او هجائين مفحشيين , ويبدو ان تنزيه الآيات الكريمة الرسول (ص) عن الشعر متأت من ادعاء الشعراء أنفسهم بأمر غيبية تلهمهم الشعر , كما ادعى الكهان والسحرة ذلك , والشعراء يدعون ان لهم شياطين يوحون إليهم بالشعر مثلما يدعى السحرة بملازمة الأرواح والجن لهم , وان القران كلام الله انزله على النبي (ص) وهو لا يشبه أي ضرب من ضروب الإبداع " ان هو الا وحي يوحى " .

اما الحديث النبوي الشريف الذي يعد المرجع الثاني بعد القران الكريم فنجد فيه أقوالا للرسول (ص) تسير في إطار مفهوم الآيات القرآنية الكريمة التي صنفتم صنفين , خير ملتزم بالدين الجديد ومنحرف لا يقدم فائدة أدبية او أخلاقية .

### الشعر والأخلاق :

أما الحديث النبوي الذي قد يفهم منه موقف نقدي قاس إزاء الشعراء عامة والجاهلية خاصة فهو قوله صلى الله عليه واله وسلم واصفا امرأ القيس بأنه " صاحب لواء الشعراء الى النار او انه " اشعر الشعراء وقائدهم الى النار " وفي رواية أخرى تفصيل أكثر لحال امرئ القيس في الدنيا والآخرة : " ذلك رجل مذكور في الدنيا شريف فيها , منسي في الآخرة خامل فيها يجيء يوم القيامة معه لواء الشعراء الى النار " .

وعندما نقف أمام الحديث وقفة تأمل وتحليل نلاحظ ان الرسول (ص) عربي بذوقه الرفيع وبلاغته التي جعلت من أقواله وأحاديثه أعلى نمط أدبي عرفته اللغة العربية بعد القران الكريم , فكيف يحط من شان شعر امرئ القيس , اذا نقده لامرئ القيس نابع من المفهوم الإسلامي للشعر والشعراء , ويكون حكمه منصبا على الجوانب التي فيها وصف فاحش خاصة في غزل الشاعر امرئ القيس التي تتنافى مع مبادئ الدعوة الإسلامية التي تنادي بالعفة والخلق الكريم .

ولا يمكن ان نعقل إنكار الرسول (ص) لوجود الظاهرة الشعرية في المجتمع العربي ولا ان يمنع العرب عن قول الشعر وهو الذي يقول " لا تدع العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين " .

فالشعر جزء من حياة العرب ووجودهم , ولا يمكن ان يهجروه في أي حال من الأحوال كما لا يمكن ان يدعو الرسول (ص) الى مخالفة الطبيعة العربية والإنسانية لكون الشعر مظهرا من مظاهر الإبداع الفكري الإنساني وهو العربي الذي يعجب بالكلام الفصيح , ويهتز للشعر الجميل , فقد ذكر عنه في قصة احد الوفود بأنه وصف شعر شاعر وكلام بليغ من وفد تميم بقوله : " ان من البيان لسحرا , وان من الشعر لحكمة " .

وهناك أقوال أخرى قد تكون أكثر وضوحا لكونها تبين نظرة الرسول (ص) الى الشعر ومنها : " انما الشعر كلام ومن الكلام طيب وخبيث " وقوله : " انما الشعر كلام مؤلف فما وافق الحق فهو حسن ومالم يوافق الحق فلا خير فيه " .  
فالشعر المتمم لمكارم الأخلاق من هذه الناحية شعر حق وخير وما كان منافيا للحق بمفهومه العام فلا خير فيه .

ان الوقوف عند مهمة الشاعر , وجدوى الشعر في الحياة امران يشغلان بال الناقد والسامع والشاعر معا , والرسول (ص) بتعريفه للشعر قد قدم لنا بعض جوانب هذه الصورة لمهمة الشاعر التي لم يحددها في الدفاع عن الحق او الدعوة فحسب بل جعل مهمته انسانية شاملة كبيرة مؤثرة , ومنها كشف جوانب الجمال والوجدان في الحياة , وان يحرك المشاعر في النفوس فيجعلها تعيد النظر فيما كانت تتصور , وان يلتفت انتباه السامع الى امور ما كان يلتفت اليها , فلولا الشعر لافتقدت الحياة الى كثير من معاني الفضيلة والجمال , ونعني جمال المثل والاخلاق الشخصية كالكرم والعفة والصدق .

ان مهمة الشاعر تفوق مهمة الفارس أحيانا إذا أحسن استعمال موهبته الشعرية فكان عنصرا فعالا في مجتمعه ينير سبل الخير والمحبة والسلام ويحرك مشاعر العطف والحنان والعفو إذا اقتضى موقف ما وساطة شاعر .

## نقد النص الأدبي في عهد الخلفاء الراشدين :

حذا الشعر في عهد الخلفاء الراشدين حذو ما انتهجه الرسول الكريم ﷺ فقد كان الخلفاء (رضي الله عنهم) يشجعون الشعر والشعراء ولهم لمسات نقدية وآراء في الشعر سارت نحو النضج والموضوع إلى جانب الفطرة الخالصة والذوق السليم، فقد حرص الخلفاء والصحابة على أن يكون الشعر في خدمة الرسالة الإسلامية المبنية على قيم الدين الجديد وتعاليمه المستترة إلى التوحيد والمساواة والتزام مكارم الأخلاق وإتباع الحكمة في بليغ القول.

### أبو بكر الصديق ﷺ ونقد الشعر:

والحق أن خلافة أبي بكر الصديق لم تشهد وقفات في هذا المجال كثيرة، وذلك بسبب الحروب ، وعدم الإستقرار إلا أن هناك نظرات لم تخرج عن مألوف النقد في عصر ما قبل الإسلام عدا أن حساً نقدياً وذوقاً فنياً نجده في مفاضلة أبي بكر بين الشعراء، إذ فضلّ النابغة على غيره من الشعراء وحكم له بأنه (أحسنهم شعراً وأعذبهم بحراً وأبعدهم غوراً)

إذ إن النابغة في نظره ((يستقي معانيه من معين عذب سائغ، فتقبلها النفوس تقبلاً حسناً، كما أنه في معانيه بعيد العمق والغور وأنه يظل يروي فيما يغمض منه حتى يستخرجها استخراجاً واضحاً)) فالمفاضلة عند أبي بكر وغيره من الشعراء جاءت معللة مبنية على حيثيات وأسس أخذت بالحسبان المعاني الشعرية.

وهذا يدل على دراية بالشعر، وهناك من أنشده قول زهير:

والستر دون الفاحشات وما يلقاك دون الخير من ستر

قال: (هكذا كان رسول الله ﷺ، ثم قال أشعر شعرائكم زهير).

### الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ ونقد الشعر:

شهد عهد الخليفة عمر بن الخطاب نوعاً من الاستقرار ورسخت الدولة ، وكان كثير الحفظ للشعر حتى انه ((لا يكاد يعرض له أمر إلا أنشد فيه بيت شعر)) ويروى أنه قال لابنه عبد الرحمن: ((احفظ محاسن الشعر يحسن أدبك)) وقال:

((أرووا من الشعر أعفّه ومن الحديث أحسنه)) فالشعر عند عمر هو ذلك الذي يدخل بالمتعة إلى النفس ويحض على مكارم الأخلاق ويلتقي مع تعاليم الإسلام وقيمه، إذ شهد عصره اهتماماً بالشعر والنظر فيه وروايته، فكان يفاضل بين الشعراء في نفسه وهو استنثار ذلك السلاح في ترسيخ قيم الإسلام وغرس مكارم الأخلاق، ونشر الفضائل، فقد كتب إلى أبي موسى الأشعري يوصيه بأنه يأمر ((بتعلم الشعر فإنه يدل على معاني الأخلاق وصواب الرأي ومعرفة الأنساب..)).

ومن الشواهد التي تدلّ على خوضه وكثرة حفظه وآرائه النقدية أنه قال لوفد غطفان حين وفد عليه ((من الذي يقول:

حلفتُ فلم اترك لنفسِك ربيّة  
وليس وراء الله للمرء مذهبُ

قالوا نابغة بن ذبيان، قال ومن الذي يقول:

فألقيت الأمانة لم تخنها  
كذلك كان نوحٌ لا يخونُ

قالوا: هو النابغة. قال هو أشعر شعرائكم .

أما خلافة عثمان فلم تشهد له مواقف نقدية من الشعر بارزة سوى بعض الاشارات ومنها انه استنشد الشعر أنه قال في شعر زهير:

ومهما تكن عند امرئٍ من خليقةٍ  
وإن خالها نخفي على الناس تعلم

أحسن زهير وصدق ولو أن رجلاً دخل بيتاً في جوف بيت لتحدث به الناس))

فالصدق الذي أعجب به عثمان في بيت زهير يعتمد على الصدق في القول .

**الامام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ونقد الشعر:**

حفلت خلافة الامام علي بن أبي طالب عليه السلام بأحداث مهمّة، وكان الشعر أحد أسلحتها- وكان للخليفة نفاذ بصر في الشعر ونقده وروي أنه قال ((الشعر ميزان القول)) أو ((الشعر ميزان القوم)). ولا ريب في أن تلك المقولة تعطي منزلة كريمة للشعر والشعراء وتبيّن قيمة الشعر وادراك الخليفة ذلك. وقد سار الخليفة في نهج من سبقه بإخضاعه الشعر لسلطة القيم الإسلامية وفضائل الأخلاق، وقد كان الامام علي عليه السلام عارفاً بأساليب أو البلاغة، و معروفاً ببلاغته بارعاً في الخطابة، وكان يكرم من أجاد من الشعراء.

ومن الروايات التي تؤكد اهتمام الامام علي عليه السلام بالشعر قوله موجهاً كلامه إلى الناس ((كل شعرائكم محسن، لو جمعهم زمان واحد وغاية واحدة في القول، لعلمنا أيهم أسبق إلى ذلك، وكلهم قد أصاب الذي أراد وأحسن فيه، وان يكن أحد فضلهم ليس به، قالوا فمن يا أمير المؤمنين فقال لو رفعت للقوم غاية فجروا إليها معاً علمنا من السابق منها ولكن إن لم يكن فالذي لم يقل لرغبة ولا رهبة امرؤ القيس بن حجر فانه كان أصحهم بادرة وأجودهم نادرة) .

وإذا أنعمنا النظر في النص وجدنا نضجاً نقدياً يسجل في تاريخ النقد الأدبي، إذ ان تعبير ((كل شعرائكم محسن هو كسر لطوق العصبية غير المرغوب بها في الإسلام)). ولا ريب في أن الامام كرم الله وجهه قد حدد أسساً ومعايير للنقد في الغرض الواحد مع توافر الحرية، فقد اشترط للجودة ((حرية الشاعر سلباً أو ايجابياً واستقلال ضميره ووجدانه وبعد انفعاله عن الخوف والطمع)) فالإمام علي عليه السلام وضع بهذه المقولة مبدأ مهماً لمصطلح المفاضلة بين الشعراء وهو الزمان والغاية والمذهب، فعن طريق تقارب الشعراء في هذه الأمور يمكن الحكم في أيهم أشعر، إذ إن تلك الأسس كان لها أثر في توجيه خط النقد الأدبي تشهد بذلك كتابات الجاحظ .

وهناك أساس آخر ذكره الخليفة في نظرتة النقدية التي نستطيع ان نحكم عليها بالنضج، إذ بين صعوبة المفاضلة حتى كانت الثقافة التي عليها الناقد، إذ ان ((لكل شاعر عالمه الخاص الذي لا يشاركه فيه الآخرون إلا بمقدار وكل يخلق صورة لعالمه الخاص بما يناسب قواه الشعرية وقدرته على التعبير عن تلك القوى تعبيراً جميلاً موقفاً، وأهم سمات الشاعر العظيم تفرده أو أصالته، وهذا يعني فيما يعني اختلافه عن الشعراء الآخرين اختلافاً ينبع من هذا التفرد والأصالة) .

## محاضرات في النقد العربي القديم \المرحلة الثالثة\ قسم اللغة العربية

إعداد الدكتور حسين لفته

### نقد النص الأدبي في العصر الأموي (٤٠هـ - ١٣٢هـ)

كثيراً ما يتفق الدارسون على أن هذا العصر هو مكمل لعصر صدر الإسلام سواء من الناحية التاريخية أو الأدبية ، وإذا كانت دراستنا هذه تعنى بالجانب الأدبي ، فضلاً عن النقدي، فإنه من الصعوبة أن نميّز في الأدب عصرًا من آخر ، وذلك أن للأدب قيمته الإنسانية الحيّة النامية التي لا تعرف فواصل الزمان وهوية المكان، ولكنه نوعٌ من الانسجام والتآلف ان صح التعبير مع قدرة الباحث المحدودة من جهة ، مع التزام الجانب التاريخي المتعارف عليه في دراسة الأدب من جهة أخرى.

ولا ريب في أن النقد الأدبي في هذا العصر قد تطور عمّا كان عليه في عصر ما قبل الإسلام وعصر صدر الإسلام في بعض نواحيه، فضلاً عن التغيير السياسي العام الذي شهده هذا العصر ((فقد عاد الشعر إلى حياته الأولى وازدادت أبوابه اتساعاً وأغراضه تنوعاً وافتناناً، وجادت معانيه، وتهذبت ألفاظه، بعامل المنافسة وبتأثير الأسلوب القرآني الذي أخذ الشعراء ينظرون فيه ويحاول أن يحتذيه كل مزاول لصناعة الكلام))<sup>(١)</sup> لذلك ارتأينا أن نتابع النقد في هذا العصر آخذين بالحسبان تعدد بيئاته وموضوعاته ومذاهبه الأدبية واختلافها وما لذلك أثر فاعل ((في الموازنة بين الشعراء وفي تقدير منازلهم، فهم يوازنون بين شاعرين من مذهب واحد أو يجمعهما فن شعري واحد أو عدة فنون.. وكانت الموازنة بين الشعراء على عدة صور، كانت في الأغراض التي طرقوها قلّة وكثرة وفي تأتيهم لتلك الأغراض، وفي قصيدتين اتحدتا في الموضوع والوزن والروي، وفي بيتين

(١) دراسات في نقد الأدب العربي د. بدوي طبانه: ١٠٧.

قبلا في غرض واحد فذاع أحدهما وسار وسكن الآخر وخمل، و في نوعين متميزين من القول كالرجز والقصيد و في منزلة الشعاعين وأين يوضعان)) (١).

إذ كان ذلك كله لم يخرج عن المجالس والأسمار والأسواق الأدبية التي شهدتها العصر الأموي. ولا غرو أن تضم تلك المجالس الصفوة من رجال الأدب، والذين لهم بصر به ورأي فيشاركون في الاستماع و الموازنة والنقد وقد شهدت ذلك النقد بيئات عربية ثلاث: (الحجاز والعراق والشام) حيث ازدهر النقد الأدبي فيها، ففي الحجاز زخرت الحياة بالترف والغناء واللهو وانتشر الأدب الرقيق يرافقه النقد في نزعة تجريدية قائمة على نوقٍ رفضته الحضارة الجديدة؛ وقد برز في تلك البيئة عدد من النقاد الزهاد والفقهاء أبرزهم ابن عباس وابن أبي عتيق وسكينة وعقيلة، فضلاً عن نقد الخلفاء في مواسم الحج ونقد الشعراء الذي كان محط اهتمامهم شعر الغزل وقد نحا نقدهم تجاه ذلك فكَادَ يكون ((النقد الغزلي)) في بيئة (الحجاز) هو السائد.

وقد يختلف الشعر في العراق عنه في الحجاز والشام في ذلك العصر بوصف العراق مركزاً رئيساً لمعارضة الأمويين في الشام ولم يكن السبب في ذلك وجود الشيعة و الخوارج، بل كان العراق في تلك الحقبة بأكمله غير راضٍ على الأمويين، فكان الأدب معبراً في مجمله عن سخرية وسخط ظاهرين تجاه الأمويين.

والحق أن النزعة العصبية القديمة ظهرت مرّة أخرى في العراق والشام، وأعانت على إحياء روح المفاخرات والمنافرات.

فكان المربد في البصرة مثل سوق عكاظ في عصر ما قبل الإسلام وكان النقد - في أغلبه - مفاضلات بين الشعراء، وأحكاماً أشبه بالخطوات السريعة. وأقوالاً تقترب أو تكاد من التعليل. غير أن ذلك لا يعني انقطاع النقد عن حال سابقه في العصور السالفة، فقد كان شديد الصلة بنقد عصر ما قبل الإسلام، من حيث الأغراض الشعرية التي كادت أن تكون - في أغلبها - شبيهة بأغراض ما قبل الإسلام،

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري: ٥.

وعلى هذا كانت الأحكام، إلا أنها زادت عليها مقاييس جمالية و فنيّة، وفي الوقت الذي كثرت فيه المفاضلة بين الشعراء والموازنة والأحكام التي جرت على السنة النقد بعد أن اتكأت على الذوق والشعور اللذين استندا إلى حاسة فنية أكتسبها الشاعر أو الناقد من كثرة ترداده الشعر وحفظه النصوص وممارسته الطويلة لإنشاده. مما أكسبه حاسة فنيّة مكنته من ((معرفة جميل الشعر من قبيحه وصحيح وزنه من فاسده)).

ولا يعني هذا أن النقد لم يكن يخلو من أحكام نقدية مع أنه ظلّ في ((بعض نواحيه امتداداً لدعوة الالتزام، وأنه كان في بعض نواحيه حريصاً على جمال التصوير، وأنه كان كذلك حريصاً على ترسم تقاليد الشعراء الأقدمين)) وفي الوقت نفسه كثر تعليل الأحكام في عصر بني أمية ومرجع هذا التعليل الروح العربية والفطرة السليمة والتذوق الشعري.

وقد نشطت الحركة الأدبية في العصر الأموي وعلت منزلة الشعر وقائله، فقد كانت مجالس الخلفاء والولاة منتديات أدبية انتشرت فيها القصائد، وأنشدت فيها الأشعار، وتبارى فيها الرواة لذكر النادر والغريب من شعر أو حديث أو خبر، وكان الخلفاء يجزلون العطاء مشجعين على ذلك فصار للرواة مجالس نقديه لها مكانة مرموقة .

وقد ظهر شعراء فحول من صميم أعراب البادية يتقدمهم (الأخطل والفرزدق وجرير) من شعراء بادية العراق فضلاً عن ذي الرمة والراعي والقطامي وغيرهم. وطالما امتازت العراق بباديتها التي لاشك في أنها سيطرت على هؤلاء الشعراء وروحهم ومجتمعهم، التي تشبه إلى حدّ كبير حياة ما قبل الإسلام في المفاخرات والمهاجيات والعصبيات مما جعل الشعر في العصر الأموي يقترب من شعر ما قبل الإسلام ان لم يكن تكراراً له، فإذا كان هناك سوق عكاظ في عصر ما قبل الإسلام فقد نشأ المربد في البصرة وهذا السوق هو الذي أسهم في ازدهار فن النقائض الذي شاع في هذا العصر وكان الثالث(جرير والفرزدق والأخطل) هو المؤسس الرئيس له.

ولا ريب من أن تولد النهضة الشعرية الكبيرة في العراق نقداً أدبياً تذوقته طوائف كثيرة متفاوتة في ثقافتها متباينة في أذواقها وأهوائها وميولها و كان للشعراء من هذا النقد نصيب يضاهي نصيب الأسد، إن لم يكن أكثر وفي الوقت نفسه أسهم الرواة والنحاة والخلفاء والأمراء وغيرهم إسهاماً فاعلاً في هذا الميدان النقدي. والحق أن تشجيع الخلفاء الشعر والشعراء، ومنحهم الجائزة على ذلك أسهم إسهاماً كبيراً في وفود الشعراء عليهم وإلى الشام مما ساعد على تنوع اتجاهات النقد وتعدد صورته المختلفة.

## محاضرات في النقد العربي القديم \المرحلة الثالثة\ قسم اللغة العربية

إعداد الدكتور حسين لفته

### النقد في مجالس الفقهاء والعلماء والأشراف:

بقيت الحجاز موئلاً للعلم والدين ولاسيما بعد أن استقرت الخلافة الأموية في الشام وكانت معارضتها في العراق، إذ احتفظت الحجاز بكونها المركز الديني لملتقى الحجيج. وبذلك كانت نقطة التقاء الخلفاء والولاة والأمراء والعامّة والشعراء والأشراف، فكانت المجالس الأدبية التي تفصح عن أدب رفيع وفن راق يعرض من اخبار الرسول ﷺ و اخبار العرب وأيامها، وتاريخ الأولين ومجالات العلم والحرب والفنون في دقة وذوق رفيع.

وقد أخذ النقد الأدبي يشق طريقه في بيئة الحجاز نحو آفاق جديدة بلورت الخط الصحيح الذي سار عليه النقاد فيما بعد .

وقد روي عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: (( إذا قرأتم شيئاً في كتاب الله فلم تعرفوه فاطلبوه في أشعار العرب فان الشعر ديوان العرب)) (١) وهذا يدل على معرفة تامة بأهمية الشعر وأثره. فابن عباس كان إذا سئل على مسألة فقهية انشد شعراً شاهداً على كلامه وتفسيره. يدلنا على ذلك منّا مسألة عن نافع ابن الأزرق لابن عباس أوردتها السيوطي في الإتقان مع جواب ابن عباس عليها بالشعر مفسراً غريباً كل آية ببيت شعري قال نافع: اخبرني بقوله تعالى [عَنْ اليمينِ وَعَنْ الشّمَالِ عَزِينَ] (٢) قال ابن العباس : (العزون ) حلق الرقاق. قال نافع وهل تعرف العرب ذلك. قال ابن العباس نعم اما سمعت عبيد بن الأبرص يقول:

(١) العمدة ٢٥٢/١ للاستزادة ينظر: المستدرک على الصحيحين ٤٥٢/٢ و سنن البيهقي الكبرى ٢٤١/١٠

٥٤٢/٢

(٢) سورة المعراج /٣٧.

فجاءوا يهرعون إليه حتى

يكونوا حول منبره عزيّنا

وتمضي أسئلة نافع بن الأزرق وأجوبة ابن عباس رضي الله عنه على هذا المنوال، السؤال عن معنى كلمة والإجابة بمعنى مرادف لها وهو معنى أقرب إلى الإلهام ويصدق هذا الاستعمال من خلال المعرفة بالشعر العربي، فحينما سأل نافع بن الأزرق ابن عباس بقوله: اخبرني عن قوله تعالى: وأبّا قال: الأب ما يعتلف من الدواب اما سمعت قول الشاعر:

ترى به الأبّ واليقطين مختلطا

على الشريعة تجري تحتها العُربُ (١)

يبدو أن ابن عباس قد اعتمد خبرته اللغوية والبيانية والنقدية في استنباطه المعنى ويدعم هذه الخبرة وعي يتمثل في تجربته ومعرفته بأسباب النزول وأيام العرب وهكذا كان يتكئ على الموروث الشعري. ولا ريب في أن أبا بكر قد سئل عن هذه الآية [وفاكهة وأبّا] (٢) فقال (أي سماء تظلني وأي أرض تقلني ان أنا قلت في كتاب الله ما لا اعلم) (٣) أما عمر فقد قال عن الآية نفسها كل هذه الفاكهة قد عرفناه، فما الأبّ؟ ثم رجع إلى نفسه فقال ان هذا لهو التكلف يا عمر (٤) غير أن ابن عباس اعتمد في تفسيره على الموروث الشعري كما ذكرنا.

ويرى الدكتور محمد زغلول سلام (( أنها قد بدأت بمحاولات ابن عباس مدرسة جديدة عن أسلوب القرآن ومعانيه بمقارنته بالأدب العربي شعره ونثره. وبذلك مهد لكثير من العلماء اللغويين من بعد لكي يتصدوا لأسلوب القرآن فيشرحوا غريبه بالشعر والمثل والكلام الفصيح)) (٥) ويرى أنه مهد هذا القيام حركة واسعة

(١) ينظر: الإتقان ١/٤٨١.٣٨٤.

(٢) سورة عبس/٣١.

(٣) تفسير ابن كثير ٤/٤٧٣ وقد قال رضي الله عنه لان اقرأ فاسقط أحب ألي أن اقرأ فالحن, ينظر المزهري ١/١٩٩.

(٤) ينظر، فتح القدير ٥/٥٧١١ وجامع البيان ٣/٦١.٥٩ وقد وجه رضي الله عنه بتعليم النحو بقوله (تعلم النحو كما تعلمون السنن والفرائض) ينظر المزهري ١/٣٥٧.

(٥) اثر القرآن في تطور النقد الأدبي إلى آخر القرن الرابع الهجري ٢٩.

لجمع اللغة والشعر من مضارب الخيام وبوادي العرب.. رافق هذا حركة كبرى كانت سبباً رئيساً في حفظ العربية من الضياع وتنقيتها أيضاً من الدخيل، فضلاً عن محافظتها على القرآن فظلّ متدارساً مفهوماً في غير بلاده التي نزل بلسان أهلها. وكان يقول ابن عباس ((إذا تعاجم شيء من القرآن فانظروا في الشعر فإن الشعر عربي)).

### قضية المفاضلة بين الشعراء

نرى أن المفاضلة بين الشعراء أخذت منحى التطور في هذا العصر عنه في العصرين السابقين وذلك بالالتفات عند الموازنة أو المفاضلة إلى جوانب من الشعر لم يكن النقاد السابقون ينظرون إليها ولا ريب في أن تكون المجالس الأدبية معنية بهذا الشأن، فقد عني الخلفاء والعلماء والفقهاء، والشعراء بجملة مما عنوا به، بالمفاضلة بين الشعراء ولم يكن الموضوع حصراً لمعاصريهم، فقد يأخذهم الحديث إلى المفاضلة بين شعراء ما قبل الإسلام أو الإسلاميين وقد يصل الأمر إلى شاعر من المعاصرين وآخر من السابقين باحثين عن نقاط التشابه أو التفاوت راسمين الخصائص العامة لذلك وتعد المفاضلة بين الشعراء مظهراً ((من مظاهر الحركة النقدية في أي أدب وقد نالت هذه الظاهرة نصيباً مهماً لدى نقاد العصر الأموي الذين اعتادوا على أسلوب المفاضلة أو الموازنة منطلقين من مواقف كثيرة ومعايير نقدية للمفاضلة)).

وروى الأصمعي أن عبد الملك بن مروان قال للفرزدق: ((من أشعر الناس في الإسلام؟ قال: كفاك بابن النصرانية إذا مدح، إشارة إلى الأخطل والفرزدق فحدّد تفضيله الأخطل على الشعراء في العصر الإسلامي في فن المديح فقط ويرمي من ذلك إلى إرضاء الخليفة عبد الملك الذي لا ريب في أنه كان شاعره المفضل)) (١).

(١) الأغاني ٧/٣٦٩.

ولم يكتفِ ذلك العصر عند المفاضلة بين الشعراء بالخلفاء والشعراء، بل تعدّاه إلى حوارات كثيرة بين الخلفاء والولاة أنفسهم، فمما يروى عن سليمان بن عبد الملك أنه سأل عمر بن عبد العزيز: أجرير أشعر أم الأخطل؟ فأجابه أن يعفوه. ولم يعفه سليمان فقال: ((إن الأخطل ضيق عليه كفره القول، وإن جريراً وسع عليه إسلامه قوله، وقد بلغ الأخطل منه حيث رأيت. فقال سليمان فضلت والله الأخطل)) (١).

## المآخذ النقدية:

ومن الآراء النقدية واللمحات ما ذكر عن عبد الملك وحبّه الشعر لاسيما المديح منه، فضلاً عن امتلاكه حاسة نقدية أعانته على بثّ آرائه في شعر هذا أو ذاك من الشعراء من ذلك ما انشده ذو الرمة قوله:

ما بال عينيك منها الماء ينسكبُ      كأنه من كلّي مضرّية سربُ

وكانت حينها عينا عبد الملك تسيلان ماء، فغضب عليه ونحاه فقيل له: ويحك! إنما دهاك عنده قولك ما بال عينيك فاقلب كلامك.. فصبر فانشده ثانية ما بال عيني... حتى أتى إلى آخرها فأجازه وأكرمه (٢) مع أن القصيدة كانت قد قيلت قبل الإنشاد، إلا أن الحسّ الفني والإدراك الذوقي وخروج الشاعر على مراعاة المقام منع عبد الملك من قبولها فغضب.

ويروى أن عبد الملك عاب مطلع قصيدة الأخطل التي مدحه فيها وتطير منها:

(١) الأغاني ٣٠٦/٨.

(٢) الموشح ٣٧٤ والبيت في الديوان ١/ ١٤٤ وقيل إن ذا الرمة هو الذي غير هذا البيت وجعله كذلك. ينظر

المثل السائر ٩٨/٣-٩٩

خَفَّ القَطِينُ فراحوا مِنْكَ أو بَكَرُوا وازعجتهم نوى في صَرَفِها غَيْرُ

فقال عبد الملك بل منك إن شاء الله تطير، فعادَ الأخطل وقال:

خف القطين فراحوا اليوم أو بكروا وازعجتهم نوى في صرفها غيرُ(١)

فعبد الملك لم يلتفت في هذين النموذجين أو غيرهما إلا إلى ضمير الخطاب

(كاف) الذي ملأ قلبه طيرة وهذا هو الذي دفع الشعراء إلى تعديل ذلك وإصلاحه.

لهذا كان يقول للأخطل: - ((إن كنت تُشَبِّهني بالحيَّة والأسد فلا حاجة لي

بشعرك...)) (٢) وفي الوقت نفسه كان لا يقبل مدحاً من الشعراء يقتصر على

الصفات الدنيوية حتى ان كانت ملكية بدليل مدح عبد الله بن قيس الرقيات له في

قوله:

يَعْتَدِلُ التَّاجُ فَوْقَ مَفْرَقِهِ على جبينِ كَأَنَّهُ الذهبُ

إذ وبَّخه قائلاً: يا ابن قيس تمدحني بالتاج كأني من العجم وتقول في مصعب:

إنما مُصْعَبٌ شِهَابٌ من الله تجلَّت عن وجهه الظلماء

مُلْكُهُ مُلْكُ عَزِّهِ ليس فيه جبروتٌ ولا له كبرياءُ

فأعطيته المدح بكشف الغم وجلاء الظلم وأعطيتني من المدح ما لا فخر فيه وهو

اعتدال التاج فوق جبيني الذي هو كالذهب في النضارة)) (٣).

(١) الموشح ٣٧٤-٣٧٥. ٢٢٦. والبيت في شعر الأخطل ١٤٤ بخلاف يسير. وقيل أن ذا الرمة هو الذي غير هذا البيت وجعله كذلك. ينظر المثل السائر ٩٨/٣ - ٩٩.

(٢) الصناعتين ١١٤ للاستزادة ينظر: الأغاني ٢٩٢/٨ وفي المصون في الأدب ٦٣ (أن كنت تشبهني بالصقر والأسد).

(٣) الشعر والشعراء ٣٠١/١ والصناعتين ١١٤ و الأغاني ٥/ والأبيات في ديوان عبد الله بن قيس الرقيات

وقد كان رد عبد الملك بن مروان اعلاناً صريحاً لميله وتفضيله المعاني النفسية والمعنوية غير المباشرة فهي أبلغ في التعبير وأصلح في توضيح الصورة أو المضمون والتعبير عنها شعراً وهذا الحكم، أو الرأي لا يصدر إلا عن ناقد حصيف وأديب متمكن ورؤية نقدية فاحصة في الشعر ووسائل التعبير وطرق أداء المعاني.

## اثر اللغويون والنحاة في النقد اللغوي:

كان اللغويين والنحاة اثر في نشوء نقدهم اللغوي الذي تمثل في نقد الأدب والشعر منه على وجه الخصوص، وقد بدأت محاولاتهم النقدية في نهاية القرن الأول، ويعزى ظهوره إلى الرعيل الأول من اللغويين والنحاة، وقد استهدفت ملاحظاتهم لغة الشعراء بدرجة رئيسة ومتابعة ما في شعرهم من مواطن الخطأ وتفنيده لذلك كان نقدهم لغوي محض، وهو نقد موضوعي يخلو من روح التعصب والهوى لأنه لا ينظر: إلى النص من حيث عذوبته أو رفته أو جماله الفني، بل من حيث مخالفته الأصول من أعراب أو وزن أو قافية وقد حذق هذا اللون طبقة علماء العربية، وفي طليعتهم يحيى بن يعمر وعيسى بن عمر وعبد الله بن أبي اسحاق الحضرمي وأبو عمرو بن العلاء والخليل بن أحمد وخلف الأحمر فهؤلاء ((تتبعوا العرب في كلامهم فضبطوا ألفاظهم وعرفوا مدلولاتها وحركاتها ووضعوا الأسس الأولى لعلومها التي أصبح لكل علم قواعد ومصطلحات نمت بعد وازدهرت في دولة بني العباس)) (١).

لذلك فرض هؤلاء العلماء سلطانهم على الشعر والشعراء، وأبدوا ملاحظاتهم على الشعراء، وأحصوا هفواتهم في استعمال الألفاظ وضبطها وإيثارهم إيّاها دون غيرها مستعينين في ذلك بالأصول المقررة في اللغة والنحو والعروض وتقرير الأدب منبهين على مخالفة بعض الشعراء لنهج العرب في كلامهم، وهكذا فتح باب النقد أمام العلماء، وكان مقياسهم في ذلك ما عرفوه من استعمالات العرب للألفاظ

(١) دراسات في النقد العربي (طبانه) ١١٥.

وأعرابها. وبذلك أصبح النقد اللغوي أول ما عرفته العربية من النقد العلمي القائم على التعليل وذكر الأسباب ((فالتطور اللغوي الذي حدث في العصر الأموي لم يكن ليترك دون مقاومة ودون جملة نقد تهدف إلى وقف تياره أو الحد من طغيانه وكانت تلك الحملة قد مرّت بطورين: الأوّل: طور استنكار الخطأ والزراية على مرتكبيه ثم وجد أن الإستنكار لا يكفي للوقوف بوجه الخطأ فانتقل النقد إلى الطور الثاني وفيه نشأت مجموعة مقاييس وقواعد اصطلاح عليها بـ (النحو) وأصبح الشعراء ملزمين باتباعها فان أخلوا بها أو حادوا عنها رفض شعرهم ووصموا بالخطأ)) (١).

((وبذلك لم يعد النقد مجرد خطرات أو انطباعات شخصية، وإنما أصبحت تتدخل فيه أطراف من الثقافات اللغوية والنحوية وغيرها)) (٢) ولكن لا يعني ان ما مر معنا من نقد يخلو من التعليل غير أن النقاد بهذه الثقافة العربية كانوا ينظرون في الشعر فيصوّبون ويخطئون ويقومون ويعدّلون. فابن أبي اسحق يتتبع سقطات الفرزدق ويخطئه، فقد روى أبو عمرو أن ابن اسحاق سمع الفرزدق ينشد:  
وعَضُ زَمَانٍ يَا ابْنَ مِرْوَانَ لَمْ يَدَعْ  
مِنَ الْمَالِ إِلَّا مُسْحَتًا وَمُجْلَفًا

فقال له ابنُ أبي اسحاق على أي شيء ترفع (مُجْلَفٌ)؟ فقال: على ما يسوءك وينوءك علي أن أقول وعليكم أن تحتجوا (٣)، فقال أبو عمرو بن العلاء فقلت للفرزدق أصبت، وهو حائز على المعنى أي انه لم يبق سواه (٤).

ولا ريب في أن تلك الأخطاء تعكر على المتلقي صفاء الجو الشعري الذي يحيط بالقصيدة لمخالفتها ما القوه وخروجها عمّا عرفوه، وتبليل أفكارهم نحو ما القوه وعرفوا.

وقد علق صاحب العقد الفريد على ذلك بقوله ((وقد أكثر النحويون الاحتيال لهذا البيت ولم يأتوا بشيء يرضي)) (١).

(١) النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري ٦٣.

(٢) ابن سلام وطبقات الشعراء ٤٥.

(٣) الموشح: ١٠٢.

(٤) نزهة الالباء ٣٥ والمسحت الهالك والمجلف الذي بقيت منه بقيه والبيت في الديوان ٣٢٩.

ومما أدركه النحاة على الفرزدق أيضاً و عرضوا له بالنقد قوله:  
غداةً احلّت لابن أصرم طعنةً      حُصينِ عبيطاتِ السدائقِ والخمرُ

فقد أخذوا على الفرزدق أنه نصب (عبيطات السرائق) ورفع الخمر وإنما ((هي معطوفة عليها وكأنها وجهها النصب فكأنه أراد وحلت الخمر)) (٢).

فينظر : إلى هذا النوع من نقد الشعر لا من حيث عنوبته أو رفته أو جماله الفني بل من حيث مخالفته للأصول من إعراب أو وزن أو قافية. فقد قال عبد الله ابي إسحاق الحضرمي للفرزدق في قوله:

مُستقيلينَ شمالَ الشامِ تضرُّ بنا      بحاصبِ كنديفِ القطنِ مَنثورِ  
على عمائمِ تلقى وأزحُلنا      على زواحفِ تزجي مَُخها ريرِ

((ألا قلت على زواحف تزجها محاسير)) وقال أسأت أيضاً إنما هي (ريز) بالرفع وكذلك قياس النحو في هذا الوضع. ويبدو أن الفرزدق عمد إلى إصلاح ذلك وترك الناس الصحيح وعمدوا إلى القول الأوّل. فغضب وهجا الحضرمي بقوله:  
فلو كان عبدُ الله مولى هجوته      ولكن عبد الله مولى مواليا

فأنكر عبد الله عليه قوله: مواليا وقال: إنما كان ينبغي ان تقول ((مولى موالٍ)) (٣). وكان عنبسة بن معدان الفيل مع علمه باللغة والنحو يتتبع شعر الفرزدق ويخطئه ويلحّنه وبلغ ذلك الفرزدق فقال يهجوّه:

لقد كان في مَعْدانَ والفيل زاجرُ      لعنّبسة الراويِّ عليّ القصائدا

(١) العقد الفريد ٣٦٢/٥.

(٢) العقد الفريد: ٣٦٢/٥. وحصين بن أصرم رجل من ضبّة كان قد نذر الأ يأكل لحماً ولا يشرب خمراً حتى يدرك ثأره فأدركه في هذا اليوم الذي ذكره (عبيطات السدائق أي نياق سمينات والعبيطات المذبوحات لغير علة وهن سمينات فتيات).

(٣) ينظر : الشعر والشعراء ٣٥/١ والبيتان في ديوان الفرزدق ١٦٠ وصدر البيت في الديوان (على زواحف تزجها محسير ) والحاصب: الريح الشديدة تحمل الحصباء ومخّ ريز: مخّ ذائب من الهزال.

ويروى أن رجلاً سأل عنبسة عن هذا البيت وعن الفيل، فقال عنبسة: لم يقل (الفيل) وإنما قال: (اللؤم) فقال لعنبرة: إن أمراً تفرّ منه إلى (اللؤم) لأمر عظيم. (١)  
ويروى أن (عنبرة الفيل) قد عاب على الفرزدق قوله (على زواحف تزجيها محاسير) (فأجابه الفرزدق) ((ما يدريك يا ابن النبطية؟ ثم دخل قلبه منه شيء فغيّره فقال: ((على حراف تزجيها محاسير)) (٢)).

ولا غرو في ان النقد الأموي قد تشعب وتنوع بتنوع المتلقي وتناول الأسلوب والمعاني والألفاظ والأغراض واللغة وغير ذلك. مع إدراكنا ان النقد في هذا العصر لم تؤثر في عوامل الثقافة الخارجية، إذ إنه كان عربياً خالصاً. وميزة هذا العصر انه ظهر فيه رجال متخصصون يعنون بالنقد ويتابعون الشعراء وكان هناك بين رجالات العرب من أدلى بدلوه بالنقد وخاض فيه وكان له فيه أثر واضح.

ومن اللغويين والنحاة الذين دخلوا ميدان النقد في هذا العصر: يحيى بن يعمر البصري فقد روي ان الحجاج قال له: اتجدي ألحن؟ فقال يحيى الأمير أفصح من ذلك. فقال: عزمت عليك لتخبرني! فقال يحيى: نعم! فقال له: في أي شيء. قال في كتاب الله تعالى. فقال ذلك أسوأ ففي أي حرفٍ من كتاب الله؟ قال: قرأت (قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَاتُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبُّ إِلَيْكُمْ) (٣) فرفعت ((أحب)) وهو منصوب فغضب الحجاج وقال لا تساكني ببلد أنا فيه ونفاه إلى خراسان. (٤)

ونخلص من هذا إلى ان علماء العربية ورواتها من ((أصحاب النحو من أهل الكوفة والبصرة.. كانوا ينقدون الألفاظ على الشعراء ويتبعون سقطاتهم ولم يخف

(١) نزهة الألباء في طبقات الأبناء ١٣٠١٢.

(٢) الموشح: ١٥٩. وقيل ان ابن اسحاق عاب ذلك على الفرزدق فقال: "عيب عليك بيتك وقد قال الأعشى (كل ملث صوب ماطر) فقال قد والله علمت ذلك ولكن ابن النبطية شكنتني فعاد إلى قوله الأول. ينظر: م.ن. ١٥٩.

(٣) سورة التوبة ٢٤.

(٤) معجم الأبناء ٢/٢-٤٣-٤٤.

عليهم من ذلك إلا النبذ اليسيرة. وكانوا أئمة الشعراء المحدثين في اللغة والغريب، يأخذون عليهم الخطأ من قولهم، ويكشفون عن عواره ويفطنون الشاعر البدوي لما يفطن له)) (١).

وقد كانت مجالس العلماء في العصر الأموي مكاناً خصباً ومناسباً في الحوار والتوجيه في القضايا النحوية واللغوية فقد تابعوا الشعراء في أخطائهم وشكلت هذه المتابعة للشعراء رافداً مهماً من روافد التثقيف والتهديب فضلاً عن المناقشة في تلك القضايا وقد أثبتنا ذلك في الحوار النقدي الذي جرى بين الفرزدق وابن أبي إسحاق وغيره من العلماء.

---

(١) كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية: ١٢٧ .

## النقد في القرن الثاني للهجرة :

### النقد الفني :

يقتضي الإنصاف ان نشير الى ان اهتمام الرواة وعلماء الشعر تدوينا " وثيقا " ولغة لم يصرفهم عن الاهتمام بالجوانب الفنية له , ومن ذلك انهم لا حظوا إجادة ذي الرمة في التشبيه . فقال حماد ( ان ذا الرمة أحسن الإسلاميين تشبيها ) , ولاحظ الأصمعي الشيء عينه عند امرئ القيس والنابغة من الجاهليين وذي الرمة من الإسلاميين .

وكان معيار الأصالة والإبداع والجدّة نصب أعينهم وهم يفاضلون بين شاعر وآخر سواء أكان ذلك بدقّة الوصف او إصابته او بحسن التشبيه او جدة المعنى او جودة المطلع وعلى هذا ( اتفق معظمهم على ان امرأ القيس أول من بكى واستبكى وقيد الأوابد ) .

ولاحظ الأصمعي ان النابغة لا يحسن صفة الخيل ومثله زهير بن ابي سلمى , في حين ان طفيل الغنوي ( غاية في النعت وهو فحل ) , ولذلك رفضوا التقليد فهو لا يدل على أصالة , وقد عيب على ذي الرمة انه اذا اخذ في النسيب ونعت فهو مثل جرير وليس وراء ذلك شيء<sup>(١)</sup> .

وهم في كل هذا يضعون معايير سليمة لنقد الشعر , فالأصالة والإبداع معياران لا يختلف عليهما اثنان , ومثلهما دقة الوصف وجودة المطلع الذي ينبغي ان يكون مؤثرا لأنه أول ما يطرق السمع ومناسبا للغرض ومتين الصياغة , وفي ضوء هذه المعايير كانوا يضعون الشعراء في مراتبهم التي يستحقونها فالأصمعي مثلا عندما جعل الفحولة معيارا تقاس به شاعرية الشاعر كان في حسبانته ان يكون متنوع الأغراض (قال في كل عروض وركب كل قافية ) وان يكون كثير الشعر جيدة , لان كثرة الشعر دلالة الخصوبة والقوة .

وقد ارتضى بعده ابن سلام هذه المعايير لتوزيع الشعراء على طبقات , وقد حاول العلماء ان يضعوا النقد على أسس وقواعد , وهذا هو أول الطريق نحو المنهجية التي

١ - انظر فحولة الشعراء للأصمعي : ١٠ وخطبة المحاضرة للحاتمي : ٩٣ .

ينبغي ان يأخذ بها الناقد نفسه , لقد وضعوا اللبنة الأولى بقواعد نقد الشعر , يتمثل هذا بتحديد الأغراض وبيان خصائصها العامة , وبوضع المعايير السليمة لتمييز شاعر من آخر , وبدراسة الشعر معنى ومبنى والقصيدة مطلعاً وحسن تخلص وبعملهم هذا قدموا الكثير من المصطلحات النقدية التي وجدت طريقها الى الدرس النقدي لا حقا مثل مصطلح (الفحولة) وبعض مصطلحات السرقة مثل (الاستحقاق) و (الاجتلاب) و (الانتحال) و (الإغارة) و (الغصب) ولم تكن دلالة هذه المصطلحات واضحة بالطبع على نحو ما ينبغي ان يكون عليه المصطلح , لقد مارس علماء القرن الثاني للهجرة النقد اللغوي والنقد النصي والنقد الشعري وقد أفادت آراؤهم النقد الأدبي كثيرا .

## قضية الشعراء نقادا :

في الشعر ودواعيه وطرق إبداعه :

### ١- لحظات الإلهام ودوافع القول :

يرى بعض النقاد ان الإلهام هو الفكرة الأولى التي تلتصق في ذهن الشاعر , ويمكن القول انه اللمحة الأولى التي تقدر القريحة , وقد يتأخر قدحها , فهي لا تخضع لإرادة الشاعر , بل لأسباب غامضة خفية نسبوها , بسبب هذا الغموض الخفي الى الجن والشياطين , كما مر بنا من قبل وكثيرا ما يجد الشاعر من القلق و "التوتر" الداخلي ما ينأى به عن النوم او الحياة الهادئة المستقرة , فإذا قسر الشاعر نفسه , في مثل تلك اللحظات على قول الشعر عاصته قريحته ونفر عنه الإلهام , يقول الفرزدق : " قد علم الناس اني فحل الشعراء وربما أتت عليّ الساعة لقلع ضرر من اضراسي أهون عليّ من قول بيت شعر " , ويقول ذو الرمة : " من شعري ما طوعني فيه القول وساعدني , ومنه ما أجهدت نفسي فيه , ومنه ما جننت به جنونا " .

ويبدو ان الشعراء قد أدركوا ان خير ما يستعان به هو الفراغ والوحدة , من جهة والإثارة العاطفية من جهة أخرى , وقد يحقق الوقوف على رسوم دار نائية

موحشة هذين الأمرين , لان الوقوف في المنبسط الفسيح البعيد عن المواطن الأهله يحقق الوحدة التامة وينأى بالمرء عن لغط الآخرين , ورسوم الديار قد تقدح القريحة وتثير الذكريات ,وقد يلتمس الشاعر الإثارة او قدح الشرارة الأولى بطرق أخرى الرغبة في المال او توقي الشر من تلك الدواعي المحفزة الى قول الشعر وقد قال الفرزدق :

" وهل الشعر الا في الخوف والرجاء وعند الخير والشر " وقيل لنصيب هرم شعرك , قال : " لا والله ما هرم ولكن العطاء هرم , ومن يعطيني مثلما اعطاني الحكم بن المطلب ...".

وقيل للفرزدق : " من اشعر الناس ؟ فقال : النابغة اذا رهب وامرؤ القيس اذا رغب , والأعشى اذا طرب , او قال : غضب " .

ولابد من القول هنا ان قول الشعر من غير رغبة او رهبة دليل على الشاعرية الخصبة التي لا تحتاج الى حافظ يدفعها الى قول الشعر , وآية الشاعرية الأصلية التي تقول الشعر لأنه الوظيفة الطبيعية التي تؤديها في هذه الحياة , وقد مر بنا مثل ذلك في تقدير الامام علي (عليه السلام) لشاعرية امرئ القيس , وهو ما لعل الفرزدق وآخرين وقفوا عليه وتأملوه وافادوا منه في نحو من الأنحاء .

وثمة سبب آخر لقول الشعر غير تلك الأسباب وهو ما يمكن ان يسمى بـ " النفث " الشعري , حينما تمتلئ النفس بلواعج حبسية , حتى اذا تجاوزت مداها وجدت سبيلها الى الظهور خلال التعبير , فيجد صاحبها , اذ ذاك راحته وهدوءه وقد أجمل عبيد الله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود هذا حينما قيل له : " كيف تقول الشعر مع الفقه والنسك ؟ " بقوله : " لا بد للمصدر من ان ينفث " وهذا كما يبدو سبب نفساني أفاد منه علم النفس كثيرا في عملية " البوح " النفسي لغايات تتصل بالعلاج لا بالتعبير الفني او الجمالي .

## ٢- موضوع الشعر :

لعل الشاعر عنترة بن شداد اول من تحدث عن قضية ان الشعراء قد افنوا موضوعات الشعر , وكان الشعر هو الموضوع وليس الحال الشعرية التي تعبر

عن نفسها من خلال موضوع معين او موضوع من الموضوعات , ومثل هذا  
نجده عند الشاعر سويد بن صميع في قوله :

**بني عمنا لا تذكروا الشعر بعدما دفتنم بصحراء الغمير القوافيا**

وهو يعني بقوله هذا انه لا يستطيع ان يقول الشعر ان لم يكن لديه موضوع ملهم  
يقول الشعر فيه , وهناك أمثلة تؤكد ان بعض الشعراء قد اعتذر عن سكوته لان  
قومه لم يخلقوا او يعدوا موضوعات مناسبة للقول , ومثل ذلك قول سلامة بن  
جنبل لتميم وقد طلبت منه ان يمدحهم بشعره فقال : " افعلوا حتى اثني عليكم " .  
وقد يكون الموضوع أحيانا أعظم من وسائل التعبير , كما حدث لحسان بن ثابت  
حين توفي رسول الله (صلى اله عليه واله وسلم ) وقد أجاب حين سئل عن عجزه  
عن رثاء الرسول الكريم : " ما بالك لم ترث رسول الله صلى الله عليه واله وسلم  
؟ " قائلا : جلت المصيبة عن المرثية " .

فالشعر لدى كثير من الشعراء قوامه الموضوع فان لم يكن ثمة موضوع  
فالشعر يبقى إمكانا كامنا ينتظر مادته التي يتجسد خلالها وخير ما قيل في هذا  
الشأن ما روى من ان الفرزدق وقد قيل له : " أحسن الكميت في مدائحه في تلك  
الهاشميات , قال : وجد اجرا وجصا فبنى " .

نقول ان إحسان الكميت او تجويده في الهاشميات لم يكن مرده الشعاعية الفذة  
فقط وإنما سببه العثور على موضوع مهياً لان يلهم الشاعر الفذ ما يستطيع ان  
يحسن فيه فكل شيء في هذا الموضوع يعين على الإحسان والتجويد نتيجة سمو  
ونبل الموضوع وصدقه وتأثيره لان هذا الموضوع لا يحتاج فيه الشاعر الى  
التلفيق والرياء والمغالطة حتى أقام من خلالها الكميت صرحا شامخا تمثل في  
هاشمياته المشهورة .

### ٣- الشاعر بين المحاكاة والإبداع :

من المعروف ان الصور المتخيلة في شعر أي شاعر تعتمد , من بين أشياء كثيرة على ملامح بيئته ومشاهدها , فتختزن ذاكرته تلك الملامح والمشاهد ثم تخلق قوة التخيل فيه صوراً جديدة منها , فالبيئة قوام الخيال ومادته , وكلما غنيت البيئة بمشاهدها وألوان صورها الطبيعية كانت اقدر على رفد الخيال بما يغنيه في رسم الصور الفنية المتخيلة وإبداعها , وهذا يفسر واقعية الصور الشعرية في الأدب العربي القديم ولصوقها ببيئتها .

ومجمل القول ان الشعر العربي القديم واقعي في خصائصه وسماته وقد أنتجت هذه الواقعية صوراً صارت فيما بعد أمثلة تحتذى , ومعياراً يقيس به النقاد جودة الشعر وحسنه , وقد كان الصدق الفني هو المعيار النقدي الذي كان النقاد آنذاك يحتكمون إليه , وهو ما طابق الواقع , في حال من الأحوال , وهذا معنى البيت الذي ينسب الى حسان والى غيره :

وان أحسن بيت أنت قائله      بيت يقال إذا أنشدته : صدقا

فالصدق الفني لدى النقاد القدامى هو المعيار النقدي المختار , وهو الذي يكمن في في أحكام كثير منهم وهم يستمعون الى الشعر , فيقول احدهم أحسن بيت هو قول فلان واغزل بيت قول علان .... حسب مطابقة الشعر لواقع الحياة او الأحداث او الواقع النفسي او ما شاكل ذلك وقد قيل لاعرابي : " ما بال المراثي أجود أشعاركم ؟ قال : لانا نقول وأكبادنا تحترق " .

#### ٤ - السرقات الشعرية :

الحديث عن السرقات الشعرية قديم قدم الأدب وقد فطن إليها النقاد العرب وعبوها على الشعراء، اذ كان همّ النقاد الوقوف على مدى أصالة الأعمال الأدبية المنسوبة إلى أصحابها، ومقدار ما حوت تلك الأعمال من الجودة والابتكار او مدى ما يدين به أصحابها لسابقيهم من الأدباء من تقليد وإتباع (١). ويرى الدكتور إحسان عباس ان الدافع الأول لنشوء هذه القضية هو اتصال النقد بالثقافة ومحاولة الناقد ان يثبت كفايته في ميدان الاطلاع (٢)، أى ان من أسباب نشأة هذه القضية:

١ - الترف الفكري الذي وصل إليه العلماء العرب.

٢ - إظهار النقاد لإمكاناتهم في معرفة الشعر العربي من خلال الوقوف على السرقات.

وقد تناول الاصمعي (ت ٢١٦هـ) هذا المعيار حين وازن بين الشاعر وآخر، ودقق في اتفاق المعاني بينهما، كما تناوله حين سعى الى البحث في نشأة المعاني وفي تطورها على ايدي الشعراء ومن إشارته الى بعض المعاني المتشابهة وذلك حين سأل استاذة ابا عمر قائلاً له: "خبرني عن هؤلاء الشعراء سرق بعضهم بعضاً، قال: "مثل ماذا؟ قلت: مثل قول امرؤ القيس:

لَهُ أَدْنَانُ تَعْرِفُ الْعِتْقَ مِنْهُمَا      كَسَامِعَتِي مَذْعُورَةٌ أُمَّ رَبِّرَبْ

وقول طرفة:

لَهُ أَدْنَانُ تَعْرِفُ الْعِتْقَ مِنْهُمَا      كَسَامِعَتِي مَذْعُورَةٌ أُمَّ فَرَقْدْ

فقال لي " لا , تلك عقول رجال توافت " (١), فالإبداع المسروق عنده يزهو بمعرضه الجديد، ويتباين فيه السارقون حدقا ومهارة لذا " عدّ الأقدمون السرقات

(١) ظ: السرقات الأدبية: ١.

(٢) تاريخ النقد الأدبي عند العرب: ٣٤.

ضرباً من الفنية الأدبية، أي انها مجال الحذق والمهارة، ولا يستطيعها كل أديب وإنما الذي يقندر عليها هو الحاذق المبرز الذي يستطيع ان يقطع صلة ما سرق بأصله وبصاحبه بحيث يبدو أمام القارئ شيئاً جديداً بعيد الصلة عن أصله القديم" (٢) .

فضلاً عن هذا أشار الأصمعي الى السرقة بقوله: "سمعت ابا عمرو بن العلاء يقول: لقيت الفرزدق في المربد، فقلت: يا أبا فراس، أحدثت شيئاً؟ قال: خُذْ: ثم أنشدني؟

كم دون مِيَّةٍ من مُسْتَعْمَلٍ قَذَفٍ      ومن فلاةٍ بها تُسْتَوَدَعُ العِيسُ

قال: فقلت: سبحان الله، هذا للمتلّمس. فقال: اكنمها فاضوّالُ الشعر احبُّ الىّ من ضوَالِ الإبل" (٣) .

فالأصمعي يرى ان هناك شعراً مخترعاً لم يسبق اليه قائله، والى جانب ذلك يرى شعراء يولدون شعرهم من غيرهم، وان كل فن من الفنون يرتقي، عبر تأريخه، بما يضيفه كل فنان الى فن من سبقه، ويبقى امر التجويد والإبداع نسبياً، حتى يتهيأ لهذا الفن الفنان المبدع الذي يرتقي به أقصى غاية الإبداع.

وليس من شك في ان الشاعر لا يكون مبدعاً في شعره جميعاً، بمعنى ان يأتي شعره كلّ من الجدة والخلق والابتكار بحيث يعجب السامعين ويبهزهم، بل قد لا تكون القصيدة الواحدة على قدر واحد من الجدة والإبداع، ومن الطبيعي ان تدخل شعر الشاعر صور كثيرة من المعاني والتشبيهات التي سبقه اليها شعراء متقدمون عليه، لأن الشاعر اذ ينظم فانه يستعمل اللغة استعمالاً شعرياً يتمثل به محفوظة الشعري الكبير الذي درج عليه منذ الصغر، ويبقى على الشاعر ان يجود ويبدع فيما ينظم حتى يأتي شعره فريداً معجباً.

(١) حلية المحاضرة: ٤٦/٢، العقد الفريد: ٤٣٠/٥ .

(٢) السرقات الأدبية: ١٤١ .

(٣) الموشح: ١٧٦ والمستعمل: اسم الطريق، وطريق قذف: بعيدة، ظ العمدة: ٢٨١/٢، والبيت في الديوان: ٤٨٢ .

ونخلص من ذلك الى ان الخصومة بين الشعراء كانت سببا مهما في كثير من  
تهم السرقة وما يتصل بها كالغصب والنحل والانتحال , ورمي الشعراء بعضهم  
بعضا بهذه التهم إنما هو جزء من أسلحة الخصومة في ميدان الهجاء , ولكن ما  
زاد في المعضلة تعقيدا والمعرفة ضراوة هو تعصب أنصار كل شاعر لصاحبهم  
واختلاق الأقاويل والتهم للحط من الشاعر الخصم والنيل من شاعريته .

## محاضرات في النقد العربي القديم \ المرحلة الثالثة

إعداد الدكتور حسين لفته

### ابن سلام الجمحي ونظرية الطبقات :

كان لرواة القرن الأول والثاني للهجرة الأثر الكبير في تحديد مسار القضايا النقدية التي وجدت طريقها في مؤلفات القرون التالية , فقد تسلت الكثير من أفكارهم وآرائهم ومصطلحاتهم الى الدراسات المنهجية الموسعة التي صاحبت حركة التأليف بدءا من القرن الثالث .

يعد كتاب ابن سلام (طبقات فحول الشعراء ) أول مؤلف نقدي موجود يستند الى نظرية (الطبقات ) ولأنه كذلك فقد اتبع ابن سلام منهجية واضحة جعلت بعض مؤرخي النقد العربي يرون فيه أول ناقد متخصص يصدر عن منهج مستقيم وروح علمية .

لقد وزّع ابن سلام أربعين شاعرا جاهليا على عشر طبقات , في كل طبقة أربعة شعراء , تلا ذلك مجموعة من الشعراء يبلغ تعدادهم أربعة وثلاثين شاعرا وزعهم على طبقتين واحدة اسمها طبقة (أصحاب المراثي ) وعدتهم أربعة , وأخرى اسمها طبقة (شعراء القرى العربية ) اختارهم على النحو الاتي : خمسة من شعراء المدينة وتسعة من شعراء مكة , وخمسة من شعراء الطائف , وثلاثة من شعراء البحرين , وثمانية من شعراء يهود ... وبهذا ينتهي من الشعراء الجاهليين , اما الإسلاميون فقد اختار منهم أربعين شاعرا وزعهم على عشر طبقات , وفي كل طبقة أربعة شعراء , وقد خصص الطبقة التاسعة بالرجاز , وبذلك يكون مجموع من ترجم لهم ووزعهم منازلهم التي يستحقونها مائة وأربعة عشر شاعرا .

## معايير نظرية الطبقات :

لقد كان ابن سلام يأخذ في الاعتبار الأساس التاريخي في توزيع الشعراء الى طبقات , فينظر الى شعراء ما قبل الإسلام بمعزل عن الإسلاميين لأنهم يشكلون حقبة أدبية متميزة في أسلوب حياتها ولغتها وشعرها .

وكذلك الحال مع الشعراء الإسلاميين والمحدثين أيضا , ومع ان النظرة التاريخية هذه حقيقة لا يجوز التغاضي عنها فان اعتماد ابن سلام الأساس التاريخي لا يشكل غير اعتراف بحقيقة تميز شعراء كل حقبة من الأخرى بجملة خصائص , وربما في إبراز اثر السابق على اللاحق , لكن الأساس الفني الذي يميز الشعراء بعضهم من بعض في الطبقة الواحدة او في الطبقات المتعددة يبقى هو الأهم , فهنا تبدو الممارسة النقدية السليمة لان معيار المفاضلة ليس الزمن او التاريخ وإنما الفن , والحقيقة ان كتاب الطبقات كله قائم على تلك المعايير التي تضع الشاعر في طبقة دون أخرى , او في المنزلة الأولى في الطبقة وليس في المنزلة الثانية او الثالثة مثلا , وقد كان التماثل والتناظر أساس جمع أربعة شعراء في طبقة واحدة , واذا أردنا الدقة قلنا ان الكثرة والجودة هما المعياران اللذان دفعا ابن سلام لان يضع شاعرا ما في المرتبة الأولى وآخر في المرتبة الثانية , او ان يضع مجموعة منهم في طبقة أولى وأخرى في طبقة ثانية , وعلى هذا الأساس فضل ابن سلام حسانا على شعراء المدينة الخمسة لأنه (كثير الشعر جیده ) ومما أحر شعراء الطبقة السابعة الجاهلية ان (في أشعارهم قلة فذلك الذي أحرهم ) , وجعل الأسود بن يعفر الثالث من الطبقة الجاهلية الخامسة لان (له واحدة طويلة رائعة لاحقة بأول الشعر لو كان شفعها بمثلها قدمناه على أهل مرتبته ) .

وإذا كانت كثرة الشعر وطول القصائد لا تحتاج الى توضيح لأنها مسألة كم الا ان اقترانها بالجودة دليل مقنع على فحولة الشاعر وطول باعه في النظم , على ان لجودة الشعر وحدها وجوها متعددة لم يغفلها ابن سلام , فقد تتمثل جودة الشعر في الكثير مما له صلة باللفظ او المعنى او التركيب او الصورة , ولكل معياره .

فمن مقاييس المعنى الابتداع والجدة والسبق , ولذلك اجمع النقاد على أولوية  
أمريء القيس لأنه أول من استوقف الصحب وأبكى الديار , وقيد الأوابد , وأول  
من شبه النساء بالطباء والبيض والخيل بالعقبان .

ومن أسباب تفضيل زهير انه اجمع الشعراء لكثير من المعاني في قليل من  
اللفظ وأشدهم مبالغة في المدح , في حين ان الأعشى (أذهبهم في فنون الشعر )  
ويقول ان ( من احتج للنابغة كان أحسنهم ديباجة شعر وأكثرهم رونق كلام  
وأجزلهم بيتا , كأن شعره كلام ليس فيه تكلف ) .

وكان جرير (يحسن ضروبا من الشعر لا يحسنها الفرزدق ) وكان لتفوق  
الشاعر في غرض واحد ما يدعو الى تفضيله على غيره , وعلى هذا كان جرير  
يغلب في الفخر , وجميل مقدما على كثير في النسيب , والأخطل يجيد نعت  
الملوك ويصيب صفة الخمر .

اما مقاييس البناء والتركيب واللفظ فمنها إحكام الشعر , أي متانته والبعد عن  
السخف ( أي ضعف البناء او رفته ) وشدة متون الشعر وشدة اثر الكلام ورقة  
حواشيه كما عند أبيد .

وليس من شك في ان هذه المعايير استخلصت بالتحليل الدقيق والنظر المتمعن  
لشعر الشعراء الذين ذكرهم في الطبقات فهي \_ الى ذلك \_ تمثل الخصائص  
العامة لشعرهم , ومع هذا فالاختلاف في تقويم الشعراء الكبار وتنزيلهم منازلهم  
التي يستحقونها ضمن طبقاتهم قائم , وهو يعكس اتجاهات النقد في القرن الأول  
والثاني للهجرة والعوامل المؤثرة فيها , وهي عوامل يتحكم فيها أحيانا الذوق  
الشخصي والميل والهوى , ويصور ابن سلام هذا قائلا : ( ان علماء البصرة  
كانوا يقدمون امرأ القيس بن حجر , وان أهل الكوفة كانوا يقدمون الأعشى , وان  
اهل الحجاز يقدمون زهيراً والنابغة ) , وفي موضع اخر يقول ( وكان كثير شاعر  
اهل الحجاز , وانهم ليقدمونه على بعض من قدمناه عليه وهو شاعر فحل ولكنه  
منقوص حظه بالعراق ) .

وتأمل قوله ( أفرس الناس بببيت شعر ) قوله ( اصدق لسانا ) فجعل لصاحب العلم بالشعر خصيصتين أساسيتين : الفراسة أي القدرة على النظر في بواطن الأمور يريد بذلك فهم الشعر ... والصدق في الرواية , والخصيصتان متلازمتان , فالناقد البصير بالشعر والشعراء يستطيع في الوقت نفسه ان يميز صحيح الشعر من منحوله وهاتان هما المهمتان اللتان أسندهما ابن سلام للعالم بالشعر والناقد له .

لقد أولى ابن سلام مسألة الشعر المنحول عناية كبيرة وانه لذلك جعل مهمة الناقد الأساسية تمييز الشعر الصحيح من الشعر المنحول وكان قد شبه صناعة الشعر بصناعة تميز الدينار بهرجة وزائفه من صحيحه , وكأنه بذلك يؤكد حقيقة ان مهمة ناقد الشعر التمييز بين الصحيح والمنحول والجيد والرديء .

لقد كان ابن سلام الجمحي (ت ٢٣١هـ) اول من بحث قضية الانتحال بحثا منظما مستفيضا في كتابه طبقات فحول الشعراء , وعزا أسباب الوضع الى عاملين أساسيين هما : العصبية القبلية , والرواة الوضاعين , فقد رأى ان بعض القبائل كانت تتزيد في أشعارها , وتتحل شعراءها شعرا لم يقولوه , فأوضح ذلك في قوله : " لما راجعت العرب رواية الشعر وذكر أيامها ومآثرها , استقل بعض العشائر شعر شعرائهم , وما ذهب من ذكر وقائعهم , وكان قوم قد قلت وقائعهم وأشعارهم , وأرادوا ان يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار , فقالوا على السن شعرائهم , ثم كانت الرواة بعد فزادوا في الأشعار " .

وقد بين ابن سلام ما أضافه القرشيون في شعر شعرائهم فطولوا قصيدة لأبي طالب في مدح الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) , وذكر ما حمل على حسان بن ثابت , وقد لاحظ ان بعض أبناء الشعراء الأعراب كانوا يفتدون الى المدن ويستنتشدهم الرواة شعر آبائهم فينشدونهم , فإذا نفذ ما لديهم زادوا في الأشعار , كما فعل داود بن متمم بن نويرة , فقد استنتشه ابو عبيدة وانه " لما نفذ شعر ابيه جعل يزيد في الأشعار ويضعها , وإذا كلام دون كلام متمم , وإذا هو يحتذي على كلامه فيذكر المواضع التي ذكرها متمم والوقائع التي شهدها " , ينظر ( كتاب طبقات فحول الشعراء : ٤٠ ) .

وقد نبه ابن سلام على الرواة الكذابين , كحماد الراوية ورفض مروياته وبين فساد روايته وحذر منه , وذكر صنفاً آخر من الرواة , كانوا يحملون الشعر الزائف , هم رواة الأخبار والسير , وأشار الى ابن اسحق راوي السيرة النبوية فقال : " ولسنا نعد ما يروى ابن اسحق له , ولا لغيره شعرا , ولان لا يكون لهم شعر أحسن من ان يكون ذلك لهم " .

وكذلك فعل ابن هشام صاحب السيرة النبوية في تعقب ابن اسحق , فنقد الشعر وبين الفاسد الموضوع , واسقط الشعر الفاسد وأوضح نقد العلماء له , وذكر الروايات الصحيحة .

ولم يرض ابن سلام بالعذر الذي قدمه ابن اسحق بأنه لا علم له بالشعر يؤتى به فيحمله , ورد عليه بقوله : " ولم يكن له ذلك عذرا , فكتب في السيرة أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعرا قط , وأشعار النساء فضلا عن الرجال , ثم جاوز ذلك الى عاد وثمود , فكتب لهم أشعارا كثيرة وليس بشعر , إنما هو كلام مؤلف معقود بقواف , أفلا يرجع إلى نفسه فيقول : من حمل هذا الشعر ومن أداه منذ آلاف السنين , والله تبارك وتعالى يقول : (فقطع دابر القوم الذين ظلموا ) أي لا بقية لهم ... فلو كان الشعر مثل ما وضع لابن اسحق , ومثل ما رواه الصحفيون ما كانت إليه حاجة ولا فيه دليل على علم " .

هؤلاء العلماء الإثبات , حين جرحوا الرواة وكذبوا الوضّاعين وبينوا الشعر الفاسد المصنوع , وثقوا من ناحية ثانية الشعر الصحيح وعدلوا الرواة الثقات , وشهدوا لهم بالدقة والأمانة , ولكن ذلك الشعر المصنوع لم يكن من الكثرة بحيث يضطرب الدارسون في معرفته , او يتخذون القليل الفاسد وسيلة لاتهام الشعر الجاهلي عامة .

**اما المآخذ على نظرية الطبقات التي جاء بها ابن سلام فهي :**

- ١- ان ابن سلام اغفل ذكر شعراء اسلاميين وأمويين كبار مثل الكميت والطرماس وعمر بن ابي ربيعة , ثم انه لم يتعرض لمعاصريه من الشعراء امثال بشار بن برد وابي نؤاس وابي العتاهية .
- ٢- انه لم يتعرض لمكانة شعراء القرى العربية كما انه لم يورد أخبارا او قدم تحليلا لبعض الشعراء بل اكتفى بسرد الأسماء .
- ٣- ان ملكة ابن سلام الأدبية في تحليل الشعر لا تكاد تظهر .
- ٤- ان ابن سلام جعل الراعي النميري مع الفرزدق وجرير والأخطل دون حجة مقنعة .
- ٥- ان نظرية الطبقات جليلة حقا ولكنها تظل قوالب اذا هي لم تعتمد الدراسة والتحليل وتبيان الأسس المشتركة والسمات الغالبة فهي نظرية صعبة وقد أثر مؤرخو الأدب تحاشيها فرارا من تلك الصعوبة .

### الجاحظ (٢٥٥هـ) ومفهوم اللفظ والمعنى :

هو أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفى عام (٢٥٥هـ) , ولد الجاحظ في البصرة حيث كان الصراع على أشده بين أخلاط من الناس ينتمون الى أجناس متعددة والى عقائد متباينة متضاربة فمنها المسلم اليهودي ومنها المسيحي ومنها المجوسي ومنها الدهري , اذا البيئة الثقافية كانت معقدة , وقد سيطر عليها عامة الناس لا السادة , وهنا نما المذهب الاعتزالي وازدهر بفضل ما تسلح به أصحابه من أسلحة ثقافية متنوعة , كانت تمكنهم من افحام خصومهم الذين ينتمون الى ملل ونحل مختلفة , وقد شق الجاحظ طريقه في هذه البيئة الثقافية التي كانت جديدة كل الجدة على المجتمع الإسلامي , ولم يكن الجاحظ رجلا عاديا من عامة الناس الذين يطمحون الى تثقيف أنفسهم عن طريق الاستماع والمناقشة وحسب , او عالما يسعى الى تحصيل جانب واحد من العلم , كان يكون مطلبه علم الكلام او اللغة او البلاغة بل كان يتميز بمقدرة عقلية تستوعب كل شيء كما كان يتميز بنهم شديد لكل أنواع العلم والمعرفة في عصره .

ولهذا فقد تتلمذ على أبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد الأنصاري , واخذ عنهم اللغة والأدب , وتتلمذ على الاخفش واخذ عنه النحو , كما تتلمذ على النظام واخذ عنه علم الكلام , ثم اكتسب الثقافة اليونانية عن طريق علماء الكلام وعن طريق مصاحبته لحنين بن إسحاق وسلمويه , كما اكتسب الثقافة الفارسية عن طريق ابن المقفع وأبي عبيدة , ولم يكتف الجاحظ بهذه المصادر لتثقيف نفسه , اعني الأخذ عن الرجال المتخصصين كل في مجاله , بل لم يكن هناك شيء أحب إليه من الكتاب , ويقول ابن النديم في الفهرست : " انه كان يكتري دكاكين الوراقين ويثبت فيها للنظر " .

وهناك مصدر آخر لثقافة الجاحظ ميزه عن غيره من الكتاب الذين سبقوه او لحقوا به ونعني به معاشته الناس ومراقبتهم مراقبة الفنان الذي يحاول ان يكشف عن عالمهم الداخلي بقدر ما يرصد مظهرهم الخارجي , ولهذا فان أهم ما يميز كتابات الجاحظ قدرته على عرض صور ونماذج من واقع الحياة الاجتماعية , ومن صنوف البشر على اختلاف طبائعهم .

ولا عجب بعد ذلك ان خلف لنا الجاحظ ثروة من الكتب في موضوعات متنوعة ومتعددة , فقد كتب في موضوعات عقائدية , مثل كتاب الإمامة وكتاب نظم القران , وكتاب خلق القران وكتاب الرد على المشبهة , وكتاب الرد على اليهود , وكتاب الرد على النصارى , وكتب في موضوعات تدور حول معارضات طرحت من قبل مثل كتاب القحطانية والعدنانية , وكتاب الموالي والعرب , وكتب في موضوعات اجتماعية مثل كتاب فصل ما بين العداوة والحسد , وكتاب مدح التجار ودم عمل السلطان , وكتاب البخلاء , ثم كتب كتبا تغلب عليها السمة الأدبية , وان كانت تجمع بين ثناياها اشتاتا من المعلومات وذلك مثل كتاب الحيوان , وكتاب البيان والتبيين .

على ان الجاحظ لم يغني التراث العربي من خلال الكم فحسب , فقد أثاره من حيث الكيف , فقد اخذ الجاحظ على بعض الكتاب عنايتهم بتتبع اللفظ بحيث يحاولون بين القاريء وتعميق الفكرة , واخذ عليهم التزامهم المفرط في التزام الفكرة حتى الغموض في عرض الأفكار , فضلا عن جمع الشواهد دون الاهتمام بالكشف عن النوازع الإنسانية , فقد قال للاخفش يوما :

" أنت اعلم الناس بالنحو , فلماذا لا تجعل كتبك مفهومة كلها ؟ وما بالناس نفهم بعضها ولا نفهم أكثرها ؟ وما بالك تقدم بعض العويص وتؤخر بعض المفهوم ؟ " .  
ويمكننا القول ان الجاحظ نظر الى وظيفة التأليف الأدبي من زاوية أخرى , فليست وظيفة الكتابة عنده مجرد إفراغ مزيج من المعلومات التي تدل على ثقافة الكاتب , لكي ينتقف بها القارئ , بل تتمثل وظيفتها - بصفة أساسية - في الكشف عن شخصية الكاتب وفلسفته اللغوية او الكلامية او الأدبية من ناحية , ثم في التعبير عن موقفه إزاء أنماط من السلوك البشري في ضوء الحياة الاجتماعية التي يعيشها أهل عصره من ناحية أخرى , فإذا أضفنا الى ذلك وظيفة أخرى , وهي إمتاع القارئ بالأسلوب الفكاهي والنوادر الطريفة , أدركنا الى أي حد استطاع الجاحظ ان يطور الكتابة الأدبية من عصره من ناحيتي أسلوبها وهدفها .

### الألفاظ والمعاني :

كان الجاحظ من أوائل من لفت الانتباه الى البحث عن سر الإجابة في النص الأدبي , هل هو في أفكار الأديب وما يدعو إليه أم في طريقة تعبيره ومدى إجادته في إبراز المعنى او الفكرة الكامنة في ضميره ونقلها الى فكر السامع او بتعبير اخر , هل الفضل في الإجابة الفنية عائد الى المعاني ام الى الألفاظ ؟  
لقد صار رأى الجاحظ في هذا الموضوع منطلقا وبداية لكل من يريد الخوض فيه حيث يقول :

" المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي وانما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء وفي صحة الطبع وجوده السبك فانما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير " (١).

ولقد توهم كثير من الباحثين في فهم رأى الجاحظ هذا مكتفين بالجملة الأولى من كلامه ( المعاني مطروحة ) ليستنتجوا ان الجاحظ من أنصار الألفاظ على المعاني

١ - الحيوان : ٢٦١ .

وانه شكل في هذا مدرسة نقدية كان من آثارها ابو هلال العسكري , وانه صاحب نظرية في الشكل مع انه لم يكن من الشكليين في التطبيق .

ومن الباحثين من يرى ان الجاحظ يربط بين الإعجاز وانه متصل بالنظم وحده بصرف النظر عما يحويه القرآن من المعاني اذ طلب الله تعالى إليهم ان يأتوا بعشر سور من مثله في النظم والروعة في التأليف , أي ان الجاحظ وقف وقفات رائعة عند الآيات الكريمة منبها الى سمو معانيها وكيف عبر عنها القرآن الكريم بإيجاز معجز وأسلوب باهر .

والواقع ان الجاحظ لم يكن من أنصار الألفاظ على المعاني ولا من الذين عنوا بالصياغة والأسلوب فحسب كما انه لم يفصل بين الألفاظ والمعاني بتحديد مفهوم المعنى عنده بل انه عنى بالنص الأدبي بكل ما يحمله من معان عبر عنها بألفاظ وأساليب وأوزان , فالنص الأدبي الجيد هو ما كانت أفكاره ومعانيه جيدة مقبولة في النفس وكان أسلوبه جميلا مؤثرا واذا انفرد بإحدى هاتين الميزتين دون الأخرى أصابه الخلل وخرج عن إطار النجاح الفني .

وتحدث الجاحظ عن قيمة الجمال الفني في النص ومكانة العناصر الفنية الكامنة في معانيه وأسلوب صياغته فقال :

" فان كان المعنى شريفا واللفظ بليغا وكان صحيح الطبع بعيدا عن الاستكراه صنع في القلوب صنع الغيث في التربة الكريمة " (١).

ان تشبيه تأثير النص في نفس المستمع المتذوق للأدب بتأثير المطر اذا أصاب تربة كريمة تشبيهه بذلك على إدراك الجاحظ لأهمية الطبع والموهبة في عملية الإبداع الفني من ناحية ويشير الى التفاتته الى نفسية المستمع الذي يجب ان يكون مؤهلا لفهم النص وتقديره فيلقى في نفسه قبولا واستحسانا والا فانه يكون كالتربة الميتة لا يجدي فيها هطول مطر او غيث .

١ - البيان والتبيين : ٨٢١ .

وهكذا نجد خلاصة رأى الجاحظ في النص الجيد بكونه يعبر عن معنى جميل شريف بألفاظ مؤتلفة غير متنافرة وأسلوب سلس موات غير متكلف وبهذا يجمع النص شروط الإجابة المتمثلة بالمعاني والألفاظ والروح الأدبية الفنية التي تتناسب منه .

## شروط الألفاظ :

نجد في ثنايا كتاب البيان والتبيين كثيرا من المصطلحات البلاغية والنقدية وقد وردت كلمات الفصاحة والبلاغة في وصف الألفاظ التي اشترطها الجاحظ للنص الجيد فقد جعل بلاغة اللفظ مقابلة لشرف المعنى .

وقال الجاحظ : " وكما لا ينبغي ان يكون عاميا وساقطا سوقيا فكذلك لا ينبغي ان يكون وحشيا " , وقد أكثر من التنبيه على وجوب تجنب الوحشي من الكلام او الحوشي منه , لان الحوشي والوحشي يعني الغريب والشواذ والنوادر متقاربة , وهو ما نفر عن السمع ويقال له حوشي كأنه منسوب الى الحوش وهي بقايا ابل وبار بأرض قد غلبت عليها الجن فعمرتها ونفت عنها الإنس لا يطأها أنيس .

اما الفصاحة كما عرفها النقاد والبلاغيون فهي ان يكون اللفظ جزلا ليس غريبا ولا سوقيا مبتذلا وان يكون مستقيما لا تخرج دلالته عن استعمال العرب .

ومن شروط الفصاحة ان تكون الكلمة مألوفة غير غريبة فاذا تعمد المتكلم إيراد الغريب فذاك هو التشايق الذي نهى الرسول صلى الله عليه واله وسلم عنه , والذين يتقصدون إيراد الغريب من الألفاظ وهم من غير الاعراب قوم مدخولون في عقولهم , والفافاة والقرقرة من الألفاظ الغريبة المستهجنة كما ان تجنب الغريب لا يعنى استعمال السوقى , فمن شروط البلاغة والفصاحة الا يلجا المتحدث الى السوقى من الألفاظ .

## اختلاف الألفاظ باختلاف البيئة :

ويرى الجاحظ ان المفردات اللغوية متفاوتة بتفاوت بيئات المتكلمين بها , فاللغة العربية تختلف مفرداتها وأساليبها باختلاف أحوال المتكلمين بها فلغة البادية غير لغة الحاضرة يقول **الجاحظ** :

" وكما لا ينبغي أن يكون اللفظ عامياً، وساقطاً سُوقياً، فكذلك لا ينبغي أن يكون غريباً وحشياً؛ إلا أن يكون المتكلم بدوياً أعرابياً؛ فإن الوحشي من الكلام يفهمه الوحشي من الناس، كما يفهم السُوقي رطانة السُوقي، وكلام الناس في طبقات كما أن الناس أنفسهم في طبقات، فمن الكلام الجزل والسَّخيف، والمليح والحسن، والقبيح والسَّمج، والخفيف والثقيل . "

ان لغة الحواضر نفسها تختلف مفرداتها تبعاً لقربها من البادية منبع الفصح العربي وتبعاً لطبيعة سكانها وتركيبهم الاجتماعي ومدى اختلاطهم بغير العرب , وهنا يلفت الجاحظ أنظارنا الى تفاوت لغة اهل الأمصار العربية نتيجة اختلاف أصول سكانها فتجد ملامح لغوية تميز مفردات اهل البصرة والكوفة عن اهل الشام ومصر وهي غير الملامح اللغوية عند اهل مكة والمدينة , وكان الجاحظ يريد القول ان اللغة لا تتأثر بالبيئة فحسب بدوية او حضرية بل تتأثر بطبيعة اهلها الساكنين فيها حيث تعيش مفردات في بيئة معينة وتنحسر في بيئة اخرى وان كانت كلها عربية صحيحة .

### **اختلاف الأساليب باختلاف المعاني :**

أكد **الجاحظ** هذه الفكرة التي تنادي بان كل معنى من المعاني لا يجمل الا بالألفاظ المشاكلة له فقال :

" ان سخيف الألفاظ مشاكل لسخيف المعاني وقد يحتاج الى السخيف في بعض المواضع وربما أمتع بأكثر من إمتاع الجزل والفخم من الألفاظ والشريف والكريم من المعاني " .

ويحذر الجاحظ من تغير الأساليب الخاصة لموضوعاتها ومعانيها " فمتى سمعت - حفظك الله - بنادرة من كلام العرب فإياك ان تحكيها الا مع اعرابها ومخارج

ألفاظها فانك ان غيرتها بان تلحن في إعرابها وأخرجتها مخارج المولدين خرجت من تلك الحكاية و عليك فضل كبير " .

لقد قرر الجاحظ من خلال نصوصه الكثيرة التي أوردها ان ضروب المعاني تؤدي الى اختلاف الأساليب باختلاف الألفاظ المستعملة والأفكار التي يوردها المتحدث فلكل " ضرب من الحديث ضرب من اللفظ ولكل نوع من المعاني نوع الأسماء فالسخيف للسخيف والخفيف للخفيف والجزل للجزل والإفصاح في موضع الإفصاح والكناية في موضع الكناية " .

والجاحظ هنا لم يكتف بوجوب مطابقة الألفاظ لضروب المعاني من حيث الخفة والغزابة والسلاسة والسماحة وإنما تجاوز الألفاظ الى الأساليب بمظاهرها المختلفة فالجوء الى الكناية والمجاز من الأساليب الواجبة في كثير من المعاني والمواقف كما ان الإطالة والإيجاز تحتمهما طبيعة المعاني التي يراد التحدث عنها وتتحكم بها طبيعة المخاطبين في الوقت نفسه .

ومع ان الجاحظ قد ذكر ان الإيجاز والإطناب أسلوبان من الأساليب التي استعملها العرب , الا انه يميل الى أسلوب الإيجاز لان النفوس ( اذا كانت الى الطرائف احن , وبالنوادير أشغف , والى قصار الأحاديث أميل ) ويوجز رأيه في تفضيل الإيجاز بقوله ( وأحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره ومعناه في ظاهر لفظه ) .

## محاضرات في النقد العربي القديم \ اعداد الدكتور حسين لفته

### ابن قتيبة وقضية الصراع بين القديم والحديث :

نظرة الجاحظ الى الألفاظ والمعاني أوقعت النقاد في أسره فيما بعد وجعلتهم جميعا يدلون بدلوهم فيها متوهمين أحيانا فهم رأي الجاحظ مبالغين في إعطاء الألفاظ حظها ومكانها في النص الشعري وقد قادتهم هذه النظرة أحيانا الى الفصل بين الألفاظ والمعاني وكأنهما عالمان مختلفان غير مرتبطين ونلاحظ هذا الفصل في تقسيمات ابن قتيبة لأضرب الشعر التي توحى أول ما توحى بعملية الفصل بين الألفاظ والمعاني , فقد تدبر ابن قتيبة كما يقول الشعر فوجده أربعة اضرب :

#### ١- ضرب منه حسن لفظه وجاد معناه كقول القائل :

في كفه خيزران ريحه عبق من كف أروع في عرنيه شمم

يغضي حياء ويغضي من مهابته فما يكلم الا حين يي—تسم

فلم يقل في الهيبة شيء أحسن منه وكقول اوس بن حجر :

أيتها النفس أجمل جزعا ان الذي تحذرين قد وقعا

لم يبتيء احد مرثية احسن من هذا .... وكقول حميد بن ثور الهلالي :

ارى بصري قد رابني بعد صحة وحسبك داء ان تصح وتسلما

#### ٢- ضرب منه حسن لفظه وحلا فاذا أنت فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى

كقول القائل :

ولما قضينا من منى كل حاجة ومسح بالاركان من هو ماسح

وشدت على حذب المهاري رحالنا ولا ينظر الغادي الذي هو رائح

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت باعناق المطي الاباطح

هذه الألفاظ - كما ترى - أحسن شيء مخارج ومطالع ومقاطع , وان نظرت الى ما تحتها من المعنى وجدته , ولما قطعنا أيام منى واستلمنا الأركان , وعالينا إبنا الانضاء , ومضى الناس لا ينتظر الغادي الرائح ابتدأنا في الحديث وسارت المطي في الاباطح .

ان تعليق ابن قتيبة على الأبيات يدلنا على رفضه لهذا النوع من الأشعار الرقيقة وعدها بالمرتبة الثانية من الأشعار التي يلمح فيها جمالا في اختيار الألفاظ مخارج ومقاطع ومطالع لا لشيء الا لأنه نثر الأبيات فوجدها لا طائل تحتها لمعان مفيدة .

وعلى الدكتور داود سلوم (رحمه الله) سبب وقوف ابن قتيبة هذا الموقف من هذا الضرب من الأشعار بان النزعة الأخلاقية والنزعة الفقهية مسوؤلتان عن هذا الموقف المتجني , وربما يعود السبب لفهم ابن قتيبة الخاص لنظرية المعاني والألفاظ التي تحدث عنها الجاحظ وبشر بن المعتمر من قبله .

٣- ضرب جاد معناه وقصرت ألفاظه عنه ... كقول لبيد :

ما عاتب المرء الكريم كنفسه والمرء يصلحه الجليس الصالح

وهو يدرج تحت هذا الضرب الأبيات التي تحمل معاني الحكمة او ما اسماه بالمعاني الجيدة الشريفة الا انه أحس ان لا روح شعرية فيها ولا جمال فنيا فيها تفهم هذا من قوله ( فانه قليل الماء والرونق ) .

٤- اما الضرب الأخير فهو الذي افتقدت فيه الشواهد والأشعار الى جودة

المعاني وجمال الألفاظ وتندرج تحته كل الأشعار الرديئة واذا كان ابن قتيبة قد حكم المعاني والألفاظ في تصنيف الأشعار ضمن هذه الاضرب الأربعة بسبب تبنيه لفضل المعاني على الألفاظ فان له آراء أخرى مهمة جدا بحث فيها عن دوافع الشعر والأوقات التي ينشط فيها الشاعر وتشخذ قريحته .

### القديم والحديث :

تعد الآراء التي سجلها ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) في مقدمة كتابه (الشعر والشعراء) من الآراء المهمة التي استطاع تسجيلها والدفاع عنها وتبنيها وقد تجاوز فيها ابن

قتيبة الاكتفاء بنقل آراء غيره الى اختيار الآراء النقدية التي توافق رأيه والدفاع عنها وتوضيحها وتفصيلها , ومن بين هذه الآراء رأيه في القديم والحديث من الشعر , وحديثه عن بنية القصيدة العربية وتقاليدها وبواعث الشعر وحوافز القول فيه .

ان مسألة الصراع بين القديم والحديث في الشعر من المسائل التي شغلت بال النقاد والادباء قديما وحديثا , وبدأت أول ما بدأت في جهود العلماء واللغويين الذين اندفعوا بحماس لجمع الشعر العربي القديم وروايته وتوثيقه حرصا منهم على سلامة اللغة العربية وحفظ شواهدا وقد تجاوزوا فيه الاعجاب الى التعصب للقديم والخصومة لكل ما هو حديث بغض النظر عن مقدار اجادته او جماله .

وكان صوت الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) في الدعوة الى تقدير الجيد من الاشعار بغض النظر عن قدمها او حداثة صوتها جديدا مبعثه طبيعة الشعر المحدث الذي فرض نفسه واخط مكانه بين الاشعار العربية القديمة .

وجاء بعده ابن قتيبة متأثرا بأرائه مرددا لكثير منها , وبرزت مسألة القديم والحديث امامه وهو يتصدى لتأليف كتاب في الشعر والشعراء اقامه على رأيه الواضح في مسألة الصراع بين القديم والحديث وان جودة الاشعار هي التي تفرض نفسها عليه , وهي مقياسه فيما يختار ويترجم , ووعد منذ البداية بالا يتأثر بآراء غيره ولا مناهجهم في التأليف والنظر في الأشعار .

ووضع ابن قتيبة مقياس الجودة أساسا لاختيار الاشعار والترجمة لأصحابها ملغيا بذلك عدة مقاييس كانت تحكم غيره من المؤلفين والرواة , وبين منهجه في المقدمة مما يمكن ان يسجل بما يلي :

١- الحكم بموضوعية على الأشعار دون التأثر بآراء العلماء المسبقة والابتعاد عن تقليدهم قال : ( ولم اسلك فيما ذكرته من شعر كل شاعر مختار له من قلد او مستحسن باستحسان غيره ) .

٢- عدم التأثر بمكانة الشاعر الاجتماعية , فقد نال كثير من الأشخاص شهرة بسبب نشاط مارسوه في الحياة السياسية او الاجتماعية او الفكرية , اما ابن قتيبة فقد وعد بتطبيق مبدأ العدالة في اختيار الاشعار الجيدة قال : ( فكل من

أتى بحسن من قول أو فعل ذكرناه له , واثنيًا عليه ولم يضعه عندنا تاخر  
قائله أو فاعله ولا حداثة سنه , كما أن الرديء إذا ورد علينا للمتقدم أو  
الشريف لم يرفعه عندنا شرف صاحبه ولا تقدمه ) .

وبذلك أخرج أشعار كثير من الفقهاء والصحابة والولاة ممن نقلت عنهم اشعار  
قالوها عرضاً وما كانوا في حقيقتهم شعراء إلا أن شهرتهم أو احترام الناس لهم  
جعل أشعارهم متداولة .

ابن قتيبة يدعو إلى اختيار الجيد من الأشعار بغض النظر عن زمانه الذي  
عاش فيه أو مكانته الاجتماعية أو السياسية قال : " ولم أسلك فيما ذكرته من شعر  
كل شاعر مختاراً له، سبيل من في قلدي، أو استحسن باستحسان غيره. ولا نظرت  
إلى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه، وإلى المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره.  
بل نظرت بعين العدل على الفريقين، وأعطيت كلا حظهما، ووفرتُ عليه حقه فإني  
رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله، ويضعه في متخيرته،  
ويرذل الشعر الرصين، ولا عيب له عنده إلا أنه قيل في زمانه، أو أنه رأى  
قائله" وسبب اختيار ابن قتيبة هذا المنهج حجتان مقنعتان هما :

١- لم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن ولا خص به قوماً  
دون قوم، بل جعل ذلك مشتركاً مقسوماً بين عباده في كل دهر.

٢- وجعل كل قديم حديثاً في عصره، وكل شرفٍ خارجياً في أوله، فقد كان  
جريزاً والفرزدق والأخطل وأمثالهم يعدون محدثين. وكان أبو عمر وابن  
العلاء يقول: لقد كثر هذا المحدث وحسن حتى لقد هممت بروايته.

ثم صار هؤلاء قديماً عندنا بعد العهد منهم، وكذلك يكون من بعدهم لمن  
بعدها، كالخريمي والعتابي والحسن بن هانئ وأشباههم. فكل من أتى بحسنٍ من  
قول أو فعل ذكرناه له، واثنيًا به عليه، ولم يضعه عندنا تاخر قائله أو فاعله، ولا  
حداثة سنه.

## بنية القصيدة :

تحدث ابن قتيبة عن بنية القصيدة العربية معللاً سبب افتتاحيتها بالبكاء على الأطلال والانتقال منها الى الغزل ثم الأغراض الشعرية الأخرى المعروفة ويختم حديثه بحكم نقدي يلزم فيه الشعراء المحدثين بشكل القصيدة التقليدية قائلاً : " فالشاعر المجيد من سلك هذه الأساليب وعدل بين هذه الأقسام فلم يجعل واحدا منها اغلب على الشعر ولم يطل فيمل السامعين ولم يقطع وبالنفوس ظمأ الى المزيد " وهو هنا يوافق علماء اللغة المتعصبين للشعر القديم فيجعل بنية القصيدة الجاهلية التقليدية اسرا وطوقا لايبيح للشاعر الخروج عليه , وبهذا يقول مؤكدا هذه البنية التقليدية " وليس لمتأخر الشعراء أن يخرج عن مذهب المتقدمين في هذه الأقسام، فيقف على منزل عامر، أو ييكي عند مشيد البنيان، لأن المتقدمين وقفوا على المنزل الدائر، والرسم العافي. أو يرحل على حمارٍ أو بغلٍ ويصفهما، لأن المتقدمين رحلوا على الناقة والبعير، أو يرد على المياه العذاب الجواري، لأن المتقدمين وردوا على الأواجن الطوامي. أو يقطع إلى الممدوح منابت النرجس والأس والورد، لأن المتقدمين جروا على قطع منابت الشيخ والحنوة والعرارة." .

## حالات الشاعر وبواعث قول الشعر :

من المباحث المهمة التي سجلها ابن قتيبة في مقدمته النقدية ما يتعلق بدواعي الشعر والعوامل المُعيّنة على بعث الغريزة الشعرية او تنشيطها فبين أولا ان الغريزة الشعرية قد ينتابها الكلل والخمول في بعض الأحيان مثلما ينتاب الإنسان في حياته العادية قال : " وللشعر تارات يبعد فيها قربه ويستصعب فيها ريشه وكذلك الكلام المنثور في الرسائل والمقامات والجوابات , فقد يتعذر على الكاتب الأديب وعلى البليغ الخطيب , ولا يعرف لذلك سبب الا ان يكون من عارض يعترض على الغريزة " .

فالغريزة الشعرية شأنها في ذلك شأن النشاط الإنساني العام قد ينتابها الخمول فيعاني الشاعر من عصيائها ما يعاني ويحاول ان ينشط ذهنه ويذكي فكره .

ويتناول ابن قتيبة هذا الجانب المتعلق بمجالات الأديب والمبدع فيتحدث عن الأوقات التي تعين الشاعر على استرسال موهبته وصفاء ذهنه فذكر منها " أول الليل قبل تغشي الكرى ومنها صدر النهار قبل الغداء ومنها يوم شرب الدواء ومنها الخلوة في الحبس والمسير , ولهذه العلل تختلف أشعار الشاعر ورسائل الكاتب " .

وهنا يأتي حديث ابن قتيبة في هذا الموضوع مهما يجمع فيه الأسباب الداعية الى قول الشعر من خلال رصده لأقوال الشعراء وتجاربهم قال : " وللشعر دواع تحت البطية وتبعث المتكلف منها الطمع , ومنها الشوق , ومنها الشراب , ومنها الطرب , ومنها الغضب , ولكن الشعراء يتفاوتون في مدى استجابتهم لها واندفاعهم الى قول الشعر باحداها " .

## محاضرات في النقد العربي القديم \ إعداد الدكتور حسين لفته

### ابن المعتز ونظرية البديع :

لابد لمن يريد الحديث عن آراء ابن المعتز النقدية في البديع وغيره ان ينطلق أولا من حقيقة كونه شاعرا , ليعرف مدى تأثير شاعريته واتجاهه الفني في آرائه النقدية فقد اجمع القدماء على انه يتصف بأنه :

١- ميله إلى البديع والتشبيهات المبتكرة .

٢- التألق في اللغة الشعرية .

لقد عرف ابن المعتز البديع بأنه : " اسم موضوع لفنون من الشعر يذكرها الشعراء ونقاد المتأدبين منهم , فاما العلماء باللغة والشعر القديم فلا يعرفون هذا الاسم ولا يدرون ما هو , وما جمع فنون البديع ولا سبقني إليه احد " .

وإذا تتبعنا مفهوم البديع عند ابن المعتز وعند من سبقه وجدناه عاما شاملا كل فنون الصنعة والجمال الفني كالجناس , والطباق , والتشبيه , والاستعارة , والالتفات وحسن الابتداء وحسن التعليل وما الى ذلك , الا ان مصطلحاته لم تستقر حتى سجلها ابن المعتز وصنفها وبين شواهدا في كتاب البديع , وهذا أمر طبيعي لان الظواهر الفنية تسبق الأحكام النقدية والقواعد الفنية التي يصنعها النقاد والدارسون لكل فن شعري , فالشعراء كانوا يستعملون اضرب البديع في اشعارهم ومخاطباتهم دون ان يضعوا لها مسميات وإنما كانت ترد عندهم عفو الخاطر وطوع السليقة فلا عجب ان تجد اختلاف النقاد في بدء مرحلة التأليف النقدي في إطلاق بعض المسميات على اضرب سميت بغيرها فيما بعد فالطباق مثلا او التطبيق هو (مساواة المقدار ) كما ذكر الجاحظ .

ان فنون البديع وأساليبه كانت معروفة عند الشعراء المحدثين وقد سبقهم إليها القدماء الا ان المصطلحات لم تستقر بعد , ولم تجمع في كتاب مفرد , ومن هنا يظهر

فضل ابن المعتز في قدرته على حصر بعض هذه الفنون وتقسيمها , وإطلاق مسميات لها مع سرد شواهدا وإبداء رأيه في كثير منها .

### سبب تأليفه الكتاب :

يرى بعض الباحثين ان كتاب البديع من الكتب المؤلفة دفاعا عن المحدثين واحتجاجا للبديعيين حيث اثبت ابن المعتز ان البديع معروف في العربية منذ العهد القديم جاء هذا في قوله :

" قد قدمنا في أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا في القرآن واللغة وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وكلام الصحابة والأعراب وغيرهم وأشعار المتقدمين من الكلام الذي سماه المحدثون البديع ليعلم أن بشاراً ومسلماً وأبا نواس ومن تقيّلهم وسلك سبيلهم لم يسبقوا إلى هذا الفن ولكنه كثر في أشعارهم فعرف في زمانهم حتى سمي بهذا الاسم فأعرب عنه ودلّ عليه. ثم إن حبيب بن أوس الطائي من بعدهم شُغف به حتى غلب عليه وتفرغ فيه وأكثر منه فأحسن في بعض ذلك وأساء في بعض وتلك عقبى الإفراط وثمره الإسراف " (١).

ويرى البعض الآخر ان سبب تأليفه انه كان صورة للصراع بين القديم والحديث , لهذا فهو يرى ان ابن المعتز وقف الى جانب الشعر القديم دون المحدث , وان البديع ليس مستحدثا انما الفضل للقدماء .

ان دراسة سبب تأليف كتاب البديع يجب ان لا تنفصل عن شخصية ابن المعتز الشاعر وعن مواقفه النقدية الأخرى وتأليفه التي يستنتج منها موقف نقدي , فابن المعتز من انصار المحدثين ونجد صحة هذا الرأي عند دراستنا لكتابه الآخر طبقات الشعراء , وهو ميال الى استعمال البديع ميلا يجعل كتابه البديع صدى لشاعريته .

لقد عاب كثير من النقاد على الشعراء في زمانه استعمال البديع والمحسنات اللفظية بشكل مفرط , لذا رأى ابن المعتز ان يتصدى للدفاع عن السمة التي عرفت بها اشعارهم وهي ( إيراد البديع والتفنن فيه ) ليقول لنا ان البديع ليس بمستحدث ولا بمعيب لان القدماء قد عرفوه , وقد ورد أيضا في القرآن الكريم والحديث النبوي

١ - البديع لابن المعتز : ١ .

الشريف فالكتاب اذا دفاع عن الشعر المحدث , وإبراز لأهم قضية شغلت بال النقاد وحكمت موافقهم منه , كتب ابن المعتز في البديع لنثلا يعد البديع عيبا على الشعر المحدث , وبين أقسامه ليحتذي الشعراء المحدثون حذو القدماء في الجيد من البديع وهو في كثرة شواهد التي اختارها يدلنا على ذوقه الأدبي الرفيع من جهة , وعلى النزعة العربية الخالصة في التأليف النقدي من الجهة الأخرى , فكتاب البديع يدل على اصوله العربية التي لم تتأثر بعد بالثقافة الأجنبية .

لقد خطا ابن المعتز في تأليفه لهذا الكتاب خطوة جديدة في قضية القديم والحديث من الشعر , فبعد ان وصل الشعر المحدث الى مرحلة المطالبة بالمساواة مع القديم والدعوة الى النظر بعين العدل والإنصاف عند الجاحظ وابن قتيبة خطا على يد ابن المعتز خطوة جديدة ظهرت في التأليف بأهم قضية تخص الشعر المحدث وهي ما لازم شعر الشعراء من ميزات , استعمال الفنون البديعية , والتوسع في استعمال المفردات اللغوية على خلاف ما كان القدماء يستعملونه فتصدى ابن المعتز للتأليف في البديع ليقول ان هذه الظاهرة ليست من ابتكار المحدثين , وإنما سبقهم إليها القدماء فلا داعي لتوجيه سهام النقد والعيب عليهم .

### منهج الكتاب :

قسّم ابن المعتز أنواع البديع في أول كتابه الى خمسة أبواب هي : الاستعارة والتجنيس والمطابقة ورد إعجاز الكلام على ما تقدمها والباب الخامس هو المذهب الكلامي .

ومن ذلك قوله : " من الكلام البديع قول الله تعالى: " وإنه في أم الكتاب لدينا لعليُّ حكيْمٌ ومن الشعر البديع قوله : (من البسيط)

والصُبْحُ بالكوكبِ الدُرِّيِّ مَنْحُورُ

وإنما هو استعارة الكلمة لشيء لم يعرف بها من شيء قد عرف بها مثل أم الكتاب ومثل (جناح الذل) ومثل قول القائل (الفكرة مخ العمل) فلو كان قال لبّ العمل لم يكن بديعاً.

ومن البديع أيضاً التجنيس والمطابقة وقد سبق إليهما المتقدمون ولم يبتكرهما المحدثون .

وإذا كان موقف ابن المعتز في كتاب البديع يمثل مرحلة نقدية مهمة فإن تتبع آراء ابن المعتز فيه يدلنا على فكر متذوق للأدب عارف بمواطن الإجادة والإحسان , ولما كان قصده تصنيف فنون البديع وإدراج شواهد الجميلة فإنه لم يأخذ التعصب لهذه الظاهرة الفنية فنبه الى وجود شواهد لم يحسن أصحابها استعمال البديع وهكذا نجد منذ البداية منبها الى قضية عرفها خصوم ابي تمام وأنصاره وهي إفراطه في الصنعة الفكرية واللفظية مما عد خروجاً على عمود الشعر العربي فيقول :

" ثم إن حبيب بن أوس الطائي من بعدهم شُغفَ به حتى غلب عليه وتفرغ فيه وأكثر منه فأحسن في بعض ذلك وأساء في بعض وتلك عقبى الإفراط وثمره الإسراف وإنما كان يقول الشاعر من هذا الفنّ البيت والبيتين في القصيدة وربما قرئت من شعر أحدهم قصائد من غير أن يوجد فيها بيت بديع وكان يُستحسنُ ذلك منهم إذا أتى نادراً ويزداد حظوة بين الكلام المرسل وقد كان بعض العلماء يشبهه الطائي في البديع بصالح بن عبد القدوس في الأمثال ويقول لو أن صالحاً نثر أمثاله في شعره وجعل بينها فصولاً من كلامه لسبق أهل زمانه وغلب على مدّ ميدانه وهذا أعدل كلام سمعته في هذا المعنى."

لقد كانت آراء ابن المعتز النقدية منصبية غالباً على أهم قضية شغلت بال النقاد والشعراء المحدثين وهي ما عرف عن الشعراء العباسيين من عنايتهم بلغتهم الشعرية وتأنقهم في اختيار ألفاظهم , وإلباسها حلل البديع من جناس وطباق واستعارة , وقد كان لشاعرية ابن المعتز تأثير في تبني هذه القضية فقد أدركها بنو قه الرفيع في أشعار معاصريه .

## محاضرات في النقد العربي القديم | إعداد الدكتور حسين لفته

### ابن طباطبا وعملية الإبداع الشعري :

يعد كتاب (عيار الشعر) من الكتب النقدية المهمة التي شقّت طريقها في تاريخ النقد العربي , رسم فيه ابن طباطبا ملامح واضحة للنظرية النقدية المتعلقة بمفهوم الشعر وقواعده وأصوله مما يمكن الشاعر والناقد معا من الوصول الى المستوى الجيد في معرفة الأشعار ونظمها معتمدا على ما استمده واستخلصه من دراسات السابقين من علماء الشعر .

### تعريف الشعر وأدواته :

عرّف ابن طباطبا الشعر بأنه : " كلام منظوم بائن عن المنثور الذي يستعمله الناس في مخاطباتهم بما خص به من النظم الذي ان عدل عن جهته مجته الأسماع وفسد على الذوق " .

نلاحظ ان ابن طباطبا اختار لفظة النظم وهي اكثر شمولا لانها تظم القوافي والوزن والموسيقى الداخلية للبيت في تفعيلاته المختلفة , وبذا جعل شرط توفر النظم أساسا في تعريف الشعر لارتباطه بالذوق والأسماع , وما اعتادت العرب على تسميته شعرا في إطار الإبداع الذي يشمل النثر والشعر .

### أدوات الشعر :

اما أدوات الشعر فقد تحدث عنها ابن طباطبا حديث عارف بمعاونة الشاعر وما يحتاج اليه من أدوات تعين موهبته الشعرية وطبعه الصحيح لذا نجده يقول : " وللشعر أدوات يجب إعدادها قبل مراسه وتكلف نظمه , فمن تعصت عليه اداة من أدواته لم يكمل له ما تكلفه منه , وبان الخلل في نظمه ولحقته العيوب من كل جهة " .

وإذا بحثنا في الأدوات التي يعددها ابن طباطبا ويرى شرط توافرها للشاعر وجدناها متمثلة بما يمكن ان نسميه بثقافة الشاعر ومنها :

١- التوسع في اللغة .

٢- البراعة في فهم الاعراب .

٣- الرواية لفنون الآداب .

٤- المعرفة بأيام الناس وأنسابهم ومناقبتهم ومثالبهم .

هذه المعارف تشكل أهم مصادر الثقافة لجميع الشعراء والمتأدبين , وأضاف ابن طباطبا الى هذه المعارف معرفة أخرى هي وجوب رواية فنون الآداب شعرا ونثرا والاطلاع على طرائق الأدباء في التعبير وأساليبهم في الأوصاف شعرا وقصصا وأمثالا ورسائل لان هذا الاطلاع يدل على مواطن الجمال في ادواق الناس المتأدبين ويدل على سبيل الارتقاء بالفن الشعري .

ويضيف الى هذه الأدوات عنصر العقل لأنه الذي يستطيع ان يميز الأدوات السابقة لذا فهو الذي يميز الأضداد فبالعقل ولزوم العدل يستطيع الشاعر ان يتبين إيثار الحسن واجتناب القبيح ووضع الأشياء موضعها .

### مهمة الشاعر :

ان مهمة الشاعر في نظر ابن طباطبا تفيد وجوب توخي الشاعر الصدق المرادف للحسن وتجنب القبيح المرادف للباطل وبذا يكون الشعر الجيد هو الذي :  
" يلتذ الفهم الحسن بحسن معانيه كالتذاذ السمع بمونق لفظه " .

ان إعجاب ابن طباطبا بالشعر القديم وجعله القدوة الحسنة ونفهم منه الإعجاب بالجانب الأخلاقي الذي تمثل بالقيم الخلقية الرفيعة التي اودعها الشعراء أشعارهم وخلدوا فيها الحياة العربية بمثلها وأمجادها فسجلوا محمود الأخلاق ومذمومها في رخائها وشدتها ورضاها وغضبها وفرحها وغمها وأمنها وخوفها وصحتها وسقمها والحالات المتصرفة في خلقها وان شعراء العرب القدماء كانوا صادقين فيما سجلوه من هذه القيم المحمودة والأخلاق العظيمة .

وهناك مهمة أخرى وضحاها ابن طباطبا تتمثل في قدرة الشاعر في التعبير عن هواجس النفس وكوامن العقول فيحسن العبارة عنها وإظهار ما يمكن في

الضمائر منها فيبتهج السامع لما يرد عليه مما قد عرفه طبعه وقبله فهمه فيثار بذلك ما كان دفيما ويبرز ما كان مكونا فينكشف للفهم غطاؤه فيتمكن من وجدانه بعد العناء في نشدانه .

### عملية الإبداع الشعري :

تجد في عيار الشعر اول مرة ناقدا وباحثا يتناول عملية الابداع الفني للقصيد العربية بتتبع المراحل التي يخطوها الشاعر ابتداء من وضعه الفكرة التي تستدعي قول الشعر وحتى استوائها قصيدة شعرية متكاملة .

فالشعر عند ابن طباطبا نتاج فكري هو والنثر يدوران في إطار الموهبة الواحدة والإبداع الفني الصادر عن وعي عقلي وإرادة متمكنة ونستطيع ان نقسم مراحل نظم القصيدة في رأى ابن طباطبا الى ما يلي :

١- مرحلة كونها فكرة مجردة (نثرا) .

٢- تشكيل الفكرة النثرية بقوالب الشعر وأفاظه وقوافيه .

٣- التسلسل في الأبيات وتلاحمها .

٤- التهذيب وإعادة النظر في القصيدة .

### محنة الشعراء المحدثين وعملية الإبداع الفني :

لقد شغلت عملية الإبداع الفني وصنع القصيدة الجيدة فكر ابن طباطبا وألف كتابه لتيسير سبل إنجاز هذه العملية جاعلا العقل الواعي هو الماسك لزام الأمر في مراحل تكوين القصيدة .

وأساس محنة الشعراء قائم على المثل الشعري الأعلى \_ الشعر القديم \_ فقد اخذ هذا المثل هالة في أذهان الناس فكل ما يأتي به الشاعر المحدث لا بد ان يقارن بتلك الهالة الكبيرة .

أما عن ابرز أسباب المحنة في آراء ابن طباطبا فهي كما يلي :

١- أول أسباب المحنة يتمثل في إحساس ابن طباطبا ان الشعراء القدماء قد استوفوا الحديث من المعاني وتداولوا الأفكار التي يمكن ان تخطر ببال الشاعر بصور وأخيلة جميلة لم تترك مجالاً للشاعر المحدث لان يضيف او يبدع أكثر مما أبدعه , يقول ابن طباطبا :

" **والمحنة على شعراء زماننا في أشعارهم أشد منها على من كان قبلهم لأنهم قد سبقوا إلى كل معنى بديع ولفظ فصيح، وحيلة لطيفة، وخلابة ساحرة. فإن أتوا بما يقصر عن معاني أولئك، ولا يربى عليها لم يتلق بالقبول وكان كالمطرح المملول.**"

٢- اما ثاني أسباب المحنة فيظهر في نظرة ابن طباطبا الى دوافع الشعر ومقارنته بين القديم والحديث وإجلاله للشعر القديم جعله يصدر حكما عاما بشأن دوافع القول لدى الشعراء حيث خيل إليه انهم كانوا اكثر صدقا من الشعراء المحدثين وان دوافعهم على القول كانت منبعثة من صدق مواقفهم وأحاسيسهم معا وانهم كانوا يؤسسون أشعارهم " ومع هذا فإن من كان قبلنا في الجاهلية الجهلاء، وفي صدر الإسلام، من الشعراء كانوا يؤسسون أشعارهم في المعاني التي ركبوها على القصد للصدق فيها مديحاً وهجاء، وافتخاراً ووصفاً، وترغيباً وترهيباً، إلا ما قد احتمل الكذب فيه في حكم الشعر: من الإغراق في الوصف والإفراط في التشبيه " .

٣- وثالث أسباب المحنة يظهر – في رأى ابن طباطبا – في بعد الشعراء عن الأصالة العربية وكون أشعارهم صادرة عن تكلف ومعاناة بخلاف الشعر القديم الذي صدر فيه أصحابه عن طبع عربي صحيح ولغة قويمية ( كأشعار العرب التي سبيلهم في منظومها سبيلهم في منثور كلامهم الذي لا مشقة فيه )

ولغرض الاستفادة من معاني الأقدمين دعا ابن طباطبا الشاعر إلى إتباع الطرق الآتية :

- ١- اذا تناول الشاعر المعاني التي سبق إليها فأبرزها في أحسن من الكسوة التي عليها لم يعب بل وجب له فضل لطفه وإحسانه .
- ٢- استعمال معاني الشعراء الأقدمين في غرض غير الغرض الذي أوردها فيه فإذا وجد الشاعر معنى لطيفا في تشبيب او غزل استعمله في المديح وان وجده في المديح استعمله في الهجاء .
- ٣- استبدال الصورة التي ورد فيها المعنى بصورة أخرى تظهره بمظهر جديد يموه الأخذ والسرقة فان وجد الشاعر معنى (في وصف ناقة او فرس استعمله في وصف الإنسان ..) .
- ٤- اخذ معاني النثر اللطيفة منها في الأشعار .
- ٥- عكس المعنى وتكراره في شعر الشاعر الواحد بعبارات مختلفة وإذا انقلبت الحالة التي يصف فيها ما يصف قلب ذلك المعنى ولم يخرج عن حد الإصابة فيه .

## محاضرات في النقد العربي القديم / المرحلة الثالثة

اعداد الدكتور حسين لفته حافظ

### القاضي الجرجاني (٣٩٢هـ) وقضية السرقات :

برز المتنبي في القرن الرابع الهجري شاعرا شامخا بشعره وشخصيته المتفردة وكبريائه المعروف , فتثير اشعاره حركة نقدية واسعة وتشغل الناس خصومه والمعجبين به ويلتف حوله في زمانه شعراء وادباء يعجبون به ومنهم ابن نباته والعالم اللغوي الشهير ابن جني , ويناوؤه شعراء اخرون وينظرون اليه بحقد وغيره لما احتلته اشعاره من مكانة كبيرة في مجالس سيف الدولة خاصة , ويبرز في مقدمة مناوئيه ابو فراس الحمداني الامير الشاعر فيجمع حوله عصابة من الامراء حاولوا البحث عن مساوئ شعر المتنبي .

كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه:

يذكر الثعالبي ان القاضي الجرجاني عمل كتابه الوساطة بين المتنبي وخصومه بعد ان وضع صاحب بن عباد رسالته في اظهار مساوئ المتنبي . وهكذا يبرز كتاب الوساطة من عنوانه الذي اختاره مؤلفه ليكون حكما وسيطا بين المعجبين بالمتنبي والطاعنين عليه وقد دفعه الى تأليف هذا الكتاب ما راه من تعصب الفريقين وابتعادهما عن الصواب فالمعجبون به يلهجون بذكره ويشيعون محاسنه .

واما الطاعنون عليه فهم يجتهدون في اخفاء فضائله , واظهار معايبه لإبعاده عن مكانته التي يراها الناس له .

### موقف الجرجاني من قضية السرقات :

تحدث النقاد الذين سبقوا الجرجاني عن قضية السرقات ومنهم الامدي الذي ميز بين انواعها فألغى كثيرا مما عد عيبا وسرقة , وعندما وصلت القضية الى القاضي الجرجاني وقف منها موقفا طويلا لأنها مما اثاره خصوم المتنبي ضده وعدوها عيبا عليه , لذلك هو يرى انه لا يحق لأي شخص الحديث عن السرقة

الشعرية لأنه باب لا ينهض به الا الناقد البصير العالم المبرز وليس كل من تعرض له ادركه وهو يرى ان هناك مصطلحات ومسميات تخص السرقة ولكل منها مدلولها الخاص الذي لا يفهمه الا الناقد العالم . اما عن المعاني المشتركة التي وقف عندها القاضي وبين انواعها وذكر شواهدا وهي كما يلي :

١- المعاني المشتركة المستفيضة بين الناس ولا يمكن لاحد ان يدعي حق ابتكارها كتشبيه الحسن بالشمس والبدر والجواد بالغيث والبحر , والبليد البطيء بالحجر والحمار , والشجاع بالسيف والنار ... وسبب اشتراك الناس في هذه المعاني انها من الامور المتقررة في النفوس المتصور في العقول يشترك فيها الناطق والابكم والفصيح والاعمى , وهي بهذا لاتعد سرقة .

٢- ما كان من المعاني في الاصل مبتدعا ومخترا ثم شاع استعماله بين الناس فصار كالمشترك المستفيض ولا يحق في هذه الحالة ان يسمى من استعمل مثل هذا المعنى سارقا , ويريد بهذه المعاني التي اكثر الشعراء من ذكرها وترديدها خاصة ما يتعلق بالتشبيهات المتداولة كتشبيه الطلل المحيل بالخط الدارس والفتاة بالغزال في جيدها وعينها والمهابة في حسنها وصفائها ويلحق بهذه التشبيهات معان متداولة كالتشاؤم من الغراب وسؤال المنزل عن اهله ولوم النفس على بكاء الدار , اما اذا استعمل الشاعر معنى من المعاني المشتركة ومنحه سمة جمالية خاصة سواء بتعبير جميل او لفظة مستعذبة , فان ابتداعه هذا يجعله صاحب حق في المعنى المشترك ويصبح وكأنه معنى خاص فاذا اخذه من شاعر اخر عد سارقا .

### انواع السرقات ومصطلحاتها :

حاول كثير من الباحثين استقصاء انواع السرقات التي ذكرها القاضي الجرجاني وهي :

١- النوادر (توارد الخواطر) وهو اتفاق شاعرين متعاصرين في المعاني دون قصد ودون ان يدعي احدهما حق المعنى , او يتهم الاخر بالسرقة .

- ٢- السرقة : وهي لا تحتاج الى تعريف بعد ان وضع القاضي الجرجاني حدودها وبين ما يمكن ان ينطبق عليها وما لا يمكن .
- ٣- الاغارة : وهو وضع اليد على شعر الغير واخذه منه قهرا دون مبالاة .
- ٤- الغصب : وهي مثل الاغارة .
- ٥- الاختلاس : وهو اخذ المعنى ونقله الى غرض جديد مع العدول به عن وزنه ونظمه وعن رويه وقافيته .
- ٦- الالمام : وهو اخذ المعنى وبعض اللفظ في شيء غير قليل من الخفاء .
- ٧- الملاحظة : هي اخذ المعنى مع التقليد والمحاكاة وبذا تكون اكثر من الالمام بقربها من السرقة واكل ابداعا فيها .
- ٨- التناسب : هو اخذ المعنى وبعض اللفظ مع شيء من المساواة بينهما تبعد الاخذ عن التقليد والمحاكاة .
- ٩- احتذاء المثل : وهو ان يأخذ الشاعر بمذهب غيره في التفكير او التعبير .
- ١٠- القلب : وقد عدّه القاضي الجرجاني من لطيف السرقة لان الشاعر فيه يعكس المعنى الذي يأخذه ويجملّه .

### المرزوقي(٣٢١هـ) وعمود الشعر :

للفظة (عمود) في المعجمات معان كثيرة , ابرزها ما يقوم عليه البيت وغيره , وقد ورد مصطلح عمود الشعر في كتاب الموازنة للامدي الا ان دلالاته استقرت تماما وعلى نحو مفصل عند المرزوقي في مقدمة كتابه شرح ديوان الحماسة واركان عمود الشعر عند المرزوقي سبعة وهي كما يلي :

١- شرف المعنى وصحته : والمراد بذلك ان لا يكون في المعنى اضطراب او سوء ترتيب او انتقاص من بعضه لبعض و عيار هذا العقل الصحيح والفهم السليم الثاقب فاذا ما وجد المعنى قبولا لدى العقل ولذة وانعطافا نحوه كان المعنى شريفا صحيحا .

٢- جزالة اللفظ واستقامته : ويراد بالجزالة هنا اللفظ القوي الشديد وهو خلاف الركيك , وعيار اللفظ الطبع والرواية والاستعمال .

٣- الاصابة في الوصف : والمقصود ان يصور الشاعر ما يريد التعبير عنه تصويرا وطابقا لواقع الشيء الموصوف في الخارج وعيار هذا حسن التمييز والذكاء .

٤- المقاربة في التشبيه : بمعنى ان تكون العلاقة بين طرفي التشبيه قريبة واضحة يسهل ادراكها فتفهم بذلك المقصود من التشبيه , فاحسن التشبيه ما وقع بين شيئين اشتراكهما في الصفات اكثر من انفرادهما ليستبين وجه الشبه بلا كلفة .

٥- التحام اجزاء النظم والتئامها على تخير من لذيذ الوزن : ويريد بذلك ان تكون ابيات القصيدة متلاحمة حتى تكون القصيدة كلها كالبيت , والبيت كالكلمة , ولذلك اثره في النفس , فالفهم يرتاح ويطرب لصواب تركيب القصيدة واعتدال نظمها .

٦- مناسبة المستعار منه للمستعار له : ويريد بهذا قوة المشابهة بين طرفي الاستعارة اللذين هما في الاصل طرفا التشبيه .

٧- مشاكلة اللفظ وشدة اقتضائهما للقافية حتى لا منافرة بينهما والمشاكله هي المماثلة والمرافقة ويراد بالمعنى هنا " الغرض المفاد بألفاظ التراكيب لا المعنى الموضوع له اللفظ والمراد ان الغرض الشريف تناسبه الالفاظ الموضوعه لمعان حميدة , وان الغرض الخسيس تناسبه الالفاظ الموضوعه للمعاني الخسيصة .

عبد القاهر الجرجاني(٤٧١هـ) ونظرية النظم :

النظم في اللغة هو التأليف , وضم الشيء إلى شيء آخر , يقال : نظمت اللؤلؤ أي : جمعته في السلك , ومنه نظمت الشعر , ومن المجاز نظم الكلام , وهذا نظم حسن .

ويقال : نظم القرآن , أي : عبارته التي تشتمل عليها المصاحف صيغة ولغة , ومن كل شيء ما تناسقت أجزاؤه على نسق واحد . ينظر لسان العرب مادة (نظم) .

فالمعنى اللغوي المشترك اذن هو ضم الشيء الى الشيء وتنسيقه على نسق واحد كحبات اللؤلؤ المنتظمة في سلك , وهذا هو المعنى الذي ذهب اليه عبد القاهر في كتابه (دلائل الإعجاز ) فالنظم عنده هو تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب من بعض .

النظم اصطلاحا : فقد عرفه عبد القاهر بقوله : ((اعلم ان ليس النظم الا ان تضع كلامك الموضوع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه واصوله وتعرف مناهجه )) ويقول ايضا : ((معلوم ان ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب من بعض)).

لقد كانت نظرية النظم ابرز وجوه الإعجاز عند العلماء , فان الجدل الذي قام حول الإعجاز في القرن الرابع الهجري قد أعاد الحياة من جديد الى التفكير البلاغي بمقابلته بين بلاغة العبارة وبلاغة النظم , وكان سببا في ظهور طريقتين في البحث البلاغي طريقة تتمثل في تفكيك النص لعزل الأساليب التي تعتبر وحدها حاملة للبلاغة , وطريقة تعتمد وحدة النص والالتحام الموجود بين أجزائه , ولا يتصور أصحابها بلاغة خارجة عن ذلك .

### النظم وعلم المعاني:

ترتبط مسائل النحو بعلم المعاني ارتباطا وثيقا ومن هنا قيل ان النظم مجاله النحو البلاغي او البلاغة النحوية , ومسائل النحو هي التي يبحثها علم المعاني وقد ساق عبد القاهر أمثلة متعددة لجمال التعبير النحوي بالتقديم والتأخير والتعريف والتكثير ومن الأمثلة حديثه عن الفصل والوصل.

## بدايات فكرة النظم :

لعل أقدم إشارة تتحدث عن فكرة النظم وجدت عند ابن المقفع في كتابه (الأدب الصغير) وقد أشار من خلالها الى صياغة الكلام , قال : ( فإذا خرج الناس من ان يكون لهم عمل أصيل وان يقولوا قولاً بديعاً , فليعلم الواصفون المخبرون ان احدهم - وان أحسن وابلغ - ليس زائداً على ان يكون كصاحب فصوص وجد ياقوتا وزبرجدا ومرجاناً , فنظمه قلائد وسموطاً وأكاليلاً , ووضع كل فصٍ موضعاً , وجمع الى كل لون شبيهه وما يزيد بذلك حسناً , فسمي بذلك صائغاً رقيقاً ) .

وجاء بعده سيبويه ليتحدث عن معنى النظم وائتلاف الكلام وما يؤدي الى صحته وفساده وحسنه وقبحه في مواضع متفرقة من كتابه , قال : ( هذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة : فمنه مستقيم حسن , ومحال , ومستقيم كذب , ومستقيم قبيح , وما هو محال كذب ..... واما المستقيم القبيح فان تضع اللفظ في غير موضعه , نحو قولك : قد زيدا رأيت , وكي زيدا يأتيك , وأشباه هذا ) .

فسيبويه يجعل مدار الكلام على تأليف العبارة وما فيها من حسن او قبح , ووضع الألفاظ في غير موضعها دليل على قبح النظم وفساده .

## النظم والإعجاز :

لقد ربط اغلب علماء البلاغة ومنهم عبد القاهر الإعجاز القرآني بالنظم ولذلك رأى ان القرآن الكريم معجز بنظمه اي توخي معاني النحو وأحكامه , وقد لخص رأيه وقال في خاتمة كتابه في قوله : " ما أظن بك أيها القارئ لكتابنا ان كنت وفيته حقّه ... ان ليس النظم شيئاً الا توخي معاني النحو وأحكامه ووجوهه وفروقه فيما بين معاني الكلم ... وإذا ثبت الآن ان لاشك ولا مرية في ان ليس النظم شيئاً غير توخي معاني النحو وأحكامه فيما بين معاني الكلم ... ثبت من ذلك ان طالب دليل الإعجاز من نظم القرآن إذا هو لم يطلبه في معاني النحو وأحكامه فيما بين معاني الكلم ثبت من ذلك ان طالب دليل الإعجاز من نظم

القرآن اذا هو لم يطلبه في معاني النحو وأحكامه ووجوهه وفروقه ولم يعلم أنّها معدنة ومعانه وموضعه ومكانه وأنّه لا مستنبت له سواها وان لا وجه لطلبه فيما عداها".

لقد استطاع عبد القاهر بنظريّة النظم ان يكشف عن إعجاز القرآن ويوضحه وهو مبتكر لهذه النظرية.

### حازم القرطاجني (٦٨٤هـ) والمعاني الشعرية :

يعد كتابه الشهير ((منهاج البلغاء وسراج الادباء)) من الكتب النقدية المهمة وكان الدافع لتأليف هذا الكتاب هو اختلال طباع الناس خاصة في زمانه الامر الذي اوجب تعلم تلك الصناعة ويقول ان النظم صناعة التها الطبع , واهم الامور التي اثارها حازم هي :

#### ١- ماهية الشعر :

يعد التخيل عند حازم جوهر الشعر ولا يعد الشعر شعرا من حيث هو صدق او كذب , بل من حيث هو كلام مخيل وبذلك ابعد حازم عن الشعر قضية الصدق والكذب , ويضع حازم الشعر مقابلا للخطابة , من حيث ان مهمة الشعر التأثير ومهمة الخطابة الاقناع .

#### ٢- التخيل :

والتخيل عند حازم (ان تتمثل للسامع لفظ الشاعر المخيل او معانيه او اسلوبه او نظامه وتقوم في خياله صورة ينفعل لتجنبها وتصورها ولان التخيل نابع للحس فهو يؤثر في النفس واسباب تاثير التخيل في النفس مرتبط بالتعجب منه , اما لجودة هياته او قوة صدقه او قوة شهرته او حسن محاكاته , ويقع التخيل في الشعر من اربعة انحاء من جهة المعنى ومن جهة الاسلوب ومن جهة اللفظ ومن جهة النظم والوزن .

### ٣- المحاكاة :

المحاكاة في الشعر كما في سائر الفنون , تخييل يقصد به استعارة الصور الحسية المخزونة في الذاكرة او المعاني, وهو نشاط ابداعي يقوم به الشاعر والفنان وهذا التخييل يتجسد في فعل المحاكاة التي هي الصورة المجسدة – في الشعر صورته لفظية – لتلك الصور والمعاني المخزنة في الذاكرة , لذلك فقوام عمل المخيلة الانسانية هو المحاكاة , وهذا ما كان يراه الفلاسفة المسلمون , وهذا ما يراه حازم ايضا .

### ٤- معاني الشعر :

يعرف حازم المعاني بقوله انها ( الصور الحاصلة في الاذهان عن الاشياء الموجودة في الاعيان ) وتقوم الالفاظ بنقل هذه الصور الذهنية الى الافهام والشاعر على الرغم من ضرورة ان يكون قادرا على حسن التصرف بالمعاني وهو معني على نحو خاص بالمعاني التي تحدث عنها انفعالات وتأثرات , وهي تلك الاشياء التي فطرت النفوس علي التلذذ بها او التألم منها وهذه افضل المعاني الشعرية .

### ٥- معيار المعاني :

ومعيار المعاني عند حازم تأثر الجمهور بها وفهمه اياها مادام الغرض من الشعر التأثير في النفوس واقتيادها الى طريق الخير وابعادها عن طريق الشر وهذه هي المعاني الجمهورية التي يشترك في فهمها الخاص والعام , لان من المعاني ما يحتاج في فهمه الى مقدمة من معرفة صناعة او حفظ قصيدة , والمعاني الجمهورية لا تحتاج الى هذه المعرفة المسبقة .

### ٦- اغراض الشعر :

وطرق الشعر عند حازم اثنان طريق الجد وطريق الهزل فأما طريق الجد فهو (مذهب في الكلام تصدر الاقاويل فيه عن مرؤة وعقل) واما طريق الهزل فهو (مذهب في الكلام تصدر الاقاويل عنه عن مجون وسخف).

#### ٧- الناقد :

مهمة الناقد الموازنة بين الشعراء وهي مهمة عسيرة لان الشعراء يختلفون فيما بينهم من وجوه عدة في البواعث والتخييل والمحاكاة والاحوال واللغة والرؤية والانماط والازمنة والامكنة . فالموازنة منهج سليم للحكم بين الشعراء , وتبقى مهمة الناقد الحكم بين نصين محددين في غرض واحد ووزن واحد وروي واحد ومن خلال ذلك يكشف الناقد عن الكيفية التي يأخذ فيها الشاعر في بنية نظمه وصيغة عباراته .